

إخلاء الذات

(كينوسيس / Kenosis)

«...لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد»

(فيلبي 2:7)

جيمس كيم

المحتويات

المقدمة	4
لماذا «إخلاء الذات» وليس مجرد «التخلي»؟	
«الجزء الأول: الأساس الكتابي لـ«إخلاء الذات»	
الفصل الأول: ما هو إخلاء الذات (Kenosis)؟	8
المعنى الكتابي واللاهوتي لإخلاء يسوع ذاته	
الفصل الثاني: ماذا يعني إخلاء الذات بالنسبة للمسيحي؟	12
إفراغ القلب من الرغبة في أن أكون أنا سيد حياتي	
الفصل الثالث: ماذا يعني أن نخلي ذواتنا ونخدم الآخرين كعبيد؟	19
المحبة والخدمة بفكر المسيح	
الجزء الثاني: ما يجب أن نخليه من داخلنا	
«الفصل الرابع: إخلاء «الكبرياء»	26
إفراغ القلب من الرغبة في تعظيم الذات	
«الفصل الخامس: إخلاء «الطمع»	34
إفراغ القلب من الرغبة في امتلاك المزيد	
«الفصل السادس: إخلاء «الرياء»	40
إزالة الفجوة بين ما أبدو عليه وما أنا عليه في الحقيقة	
«الفصل السابع: إخلاء «الكذب»	51
إفراغ القلب من الرغبة في إخفاء الحقيقة وتحريفها	
«الفصل الثامن: إخلاء «الكراهية»	60
عدم السماح للجراح والرغبة في الانتقام بأن تسيطر على قلبي	
«الفصل التاسع: إخلاء «الأفكار الشريرة»	72
إخضاع كل فكر لطاعة المسيح	

«الفصل العاشر: إفراغ» الفجور الجنسي 83
إفراغ الرغبات الخاطئة والمحافظة على المحبة والقداسة

«الفصل الحادي عشر: إخلاء» التذمر 95

إفراغ عدم الثقة وعدم الرضا والثقة بالله

«الفصل الثاني عشر: إخلاء» الغيرة 109
إفراغ روح المقارنة والعيش بالشكر والمحبة

الجزء الثالث: ملء المكان الفارغ بالمسيح

الفصل الثالث عشر: الامتلاء بالمسيح 120
حياة لا أحيا فيها أنا، بل المسيح يحيا فيّ

الخاتمة 129

أخل ذاتك وامتلي بالمسيح
السير كل يوم في طريق «إخلاء الذات» كتلميذ ليسوع المسيح

المقدمة

«لعل إحدى أكثر العبارات الإيمانية شيوعاً اليوم في الأحاديث اليومية بين المسيحيين وعلى منابر الكنائس هي عبارة «التخلي ومن خلال كتابات مرسل أمين خدم في منغوليا، تركت هذه العبارة صدى روحياً عميقاً في الكنيسة الكورية وبين المؤمنين. ومنذ ذلك الحين، أصبحت عبارة «التخلي» تعبيراً مألوفاً يستخدمه كثير من المسيحيين في التعبير عن إيمانهم، ولم تعد مقتصرة على الحديث عن المناصب الكنسية أو الدعوة إلى الخدمة. وأنا أيضاً استخدمت هذه العبارة لسنوات طويلة لكن بينما كنت أتأمل في الكتاب المقدس بعمق أكبر، وأراقب حياة المؤمنين من خلال خدمتي الرعوية، بدأت أتساءل: أليس تعبير إخلاء الذات» أقدر من تعبير «التخلي» على إظهار جوهر التلمذة التي يتحدث عنها الكتاب المقدس؟» يحمل «التخلي» معنى أن أضع جانباً، ولو مؤقتاً، شيئاً أمسكه بيدي. فنحن نتخلي عن الطمع، ونتخلي عن التعلق، وأحياناً نتخلي عن بعض حقوقنا أو مصالحنا. وهذا بالطبع تدريب مهم في حياة الإيمان. ولكن له حدّ معين، لأن مجرد وضع ما في أيدينا جانباً لا يعني بالضرورة أن القلب الذي يريد الإمساك به قد تغير قد أتخلي عنه اليوم، ثم أعود فأتمسك به غداً. وقد أكون قد تخلّيت ظاهرياً عن الطمع، بينما ما زلت في أعماق قلبي أريد أن أكون أنا سيد حياتي. وعندما تتغير الظروف والأحوال، قد أعود مرة أخرى إلى التمسك بإرادتي ورغباتي، لذلك فإن ما يطلبه منا الكتاب المقدس لا يتوقف عند مجرد فعل التخلي عن شيء ما. فأنا نخلي ذواتنا من فكرة أننا نحن سادة حياتنا، وأن نسلّم مركز حياتنا وسيادتها لله، هو مستوى أعمق من التلمذة. وفي قلب هذا كله نجد «إخلاء الذات» الذي أظهره يسوع المسيح

تقول فيلبي 2:7

«لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس»

«كان يسوع واحداً مع الله في جوهره، ومع ذلك، لكي يخلصنا، وضع نفسه واتخذ صورة عبد. وعندما يقول الكتاب إنه «أخلى نفسه فهذا لا يعني أن يسوع تخلّى عن لاهوته. بل يعني أنه لم يتمسك بمجده وحقوقه، بل وضع نفسه ونزل إلى موضع العبد وأطاع إرادة الله طاعة كاملة

هذا هو طريق إخلاء الذات الذي أظهره لنا يسوع المسيح

لذلك، فإن «إخلاء الذات» لا يعني ألا نملك شيئاً. بل يعني أن أخلى نفسي من الرغبة في أن أكون سيد حياتي، وأن أسلم هذا المكان للمسيح. أن أخلى نفسي من عنادي وأقبل إرادة الله. أن أخلى نفسي من كبريائي وأتعلّم التواضع. أن أخلى نفسي من طمعي ومخاوفي وأثق بأمانة الله

ومن هذا المنظور، فإن الإخلاء ليس مجرد تخلٍ

.الإخلاء هو استعداد لامتلاء جديد

.أخلي أفكارى لكي تمتلئ بكلمة الله

.أخلي نفسي من الطمع لكي أطلب إرادة الله

.أخلي نفسي من الكبرياء لكي أقفني تواضع المسيح

.أخلي نفسي من الكراهية لكي أمتلئ بالمحبة

.وأخلي نفسي من الرغبة في أن أكون سيد حياتي لكي يكون المسيح هو رب حياتي

«لذلك لا ينبغي أن تنتهي حياة المؤمن بمجرد السؤال: «عمَّ يجب أن أتخلي؟»

بل علينا أن نسأل سؤالين معاً

«ما الذي يجب أن أخليه من داخلي؟»

و:

«بماذا يجب أن أملأ المكان الذي أصبح فارغاً؟»

،إن العيش كتلميذ ليسوع يعني أن نضع أنفسنا كل يوم أمام هذين السؤالين. يعني أن نفحص، في ضوء كلمة الله، أفكارنا ورغباتنا

وكبريانا وعنادنا، وطمعنا ومخاوفنا، وكراهيتنا وجراحنا، وتعلقنا بالعالم، وأن نخلي أنفسنا منها

.ثم نملأ ذلك المكان الفارغ بقيادة الروح القدس وكلمة الله ومحبة المسيح

وبالطبع، لا يمكن تحقيق هذا بإرادتنا وجهدنا وحدهما. فنحن بقوتنا الذاتية لا نستطيع أن نغيّر من الجذور عادات الخطية القديمة

.وتمركزنا حول ذواتنا. لذلك يجب أن نعتمد على نعمة الصليب

.علينا أن ننظر إلى المسيح الذي بذل نفسه من أجلنا، وأن نطلب معونة الروح القدس العامل في داخلنا

.إن «إخلاء الذات» الذي يتحدث عنه هذا الكتاب يبدأ تحديداً من موضع النعمة هذا

وفي الصفحات القادمة، سننظر إلى أنفسنا في مرآة الكتاب المقدس، ونفحص واحداً تلو الآخر تلك الأمور المختبئة في جوانب مختلفة

من حياتنا والتي ينبغي إخلاؤها. وسنتأمل معاً في طريق إخلاء أنفسنا من الكبرياء والطمع والرياء والكذب والكراهية والأفكار

.الشريرة والشهوة والتذمر والغيرة

.لكن غاية هذا الكتاب ليست إدانتنا بلا انقطاع

.بل غايته أن يوجّه أنظارنا إلى المسيح الذي أخلّى نفسه أولاً من أجلنا

فمهما اجتهدنا في إخلاء أنفسنا، فإننا من دون نعمة الله ستمتلئ من جديد بالأمور نفسها التي حاولنا إخلاؤها. لذلك علينا، ونحن

نعترف بضعفنا، أن نطلب نعمة المسيح في كل موضع يحتاج إلى الإخلاء. وعلينا أن نسلّم أنفسنا للروح القدس لكي يملأ القلب الذي

.أخلاه بكلمة الله ومحبه

.والآن نريد أن نقف بهدوء أمام مرآة الكتاب المقدس

بماذا أتمسك؟

ما الذي ما زلت متمسكًا به؟

ما الذي ينبغي أن أخليه من أعماق قلبي؟

وبماذا أملأ ذلك المكان الفارغ؟

عندما لا نهرب من هذه الأسئلة، بل نواجهها بصدق، لن يعود «إخلاء الذات» مجرد شعار إيماني، بل سيصبح طريقًا عمليًا للتلمذة. يغيّر حياتنا.

وأرجو أن يكون هذا الكتاب دليلاً صغيرًا يساعدنا على السير في هذا الطريق.

وفي أثناء تأليف هذا الكتاب، استعنت أيضًا بمساعدة الذكاء الاصطناعي. ويستند محتوى هذا الكتاب إلى التأملات والمشاركات التي

دوّنتها على مدى سنوات طويلة من التأمل في الكتاب المقدس ومن الكرازة بكلمة الله في خدمتي الرعوية.

وقد استفاد الذكاء الاصطناعي من التأملات الكتابية والعظات التي كتبتها على مر السنين، وساعدني في تنظيم الموضوعات وتسلسل

الأفكار، وفي صقل العبارات لكي أعبر بصورة أوضح عن الأفكار التي أردت إيصالها.

ومع ذلك، فإن التوجه الإيماني لهذا الكتاب، وفهمه للكتاب المقدس، وجوهر التأمل في ما ينبغي لنا أن نخلبه وما ينبغي أن نملأ به

المكان الفارغ، كلها تقع تحت مسؤولية لي.

وفوق كل شيء، سعيت إلى أن أعيد فحص كل ما في هذا الكتاب وتمييزه وصقله أمام كلمة الله.

وأرجو أن ينظر كل من يقرأ هذا الكتاب إلى كلمة الكتاب المقدس أكثر من نظره إلى كلمات الإنسان، وأن ينظر إلى يسوع المسيح

الذي أخلى نفسه أولًا من أجلنا وبذل ذاته عنا، أكثر من نظره إلى الشخص الذي كتب هذه الكلمات.

وبقلب متواضع يشترك إلى عمل الإخلاء المقدس الذي يجريه الروح القدس، وأنا أخلى اليوم أيضًا من داخلي الرغبة في أن أكون

سيد حياتي، وأصلي لكي يكون المسيح وحده رب حياتي

مشاركة من جيمس كيم

سبتمبر 2026 12

وحتى في ضعفي، حين لا أستطيع أن أخلى نفسي تمامًا من تمركزي حول ذاتي، وحين أظل أحيانًا متمسكًا حتى بما ينبغي لي أن

...أخليه، فإنني أطلب فقط رحمة الله الأمانة

«الجزء الأول: الأساس الكتابي لـ»إخلاء الذات

؟(Kenosis) «الفصل الأول: ما هو «إخلاء الذات»

ما هو «إخلاء الذات» الذي أظهره يسوع المسيح؟

يقدم لنا بولس في فيلبي 2 صورة تواضع المسيح وإخلائه لذاته. فقد وضع يسوع نفسه، وأخذ صورة عبد، وأطاع إرادة الله حتى النهاية. فما هو إذاً «إخلاء الذات» الذي يتحدث عنه الكتاب المقدس؟

لكي نفهم الجواب، علينا أولاً أن نتأمل في فيلبي 2:7

«لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس».

في هذه الآية الواحدة طريق مهم دُعيت التلمذة المسيحية إلى السير فيه.

يبدأ إخلاء الذات بالتجسد

(Incarnation). نسمي الحدث الذي فيه أخذ يسوع المسيح، وهو الله، جسداً بشرياً وجاء إلى هذه الأرض **التجسد**.

تشهد يوحنا 1:14:

«والكلمة صار جسداً وحل بيننا».

إن «الكلمة» المذكور هنا هو الذي كان منذ البدء عند الله، وهو نفسه الله (1ع). كل الأشياء به كَوْنَتْ (3ع)، وفيه كانت الحياة، والحياة

كانت نور الناس (4ع).

ومع ذلك، صار ذلك الكلمة جسداً

فالخالق الذي خلقنا نزل إلى موضع المخلوقات التي صنعها بنفسه. والذي كان يتمتع بمجد السماء أخذ جسداً بشرياً، والذي يستحق أن يُرفع جاء إلى موضع متواضع.

إن التجسد واحد من أعجب أسرار الإيمان المسيحي. جاء الخالق إلى وسط خليقته، ونزل الرب إلى موضع العبد.

ومن هنا تحديداً يبدأ معنى «إخلاء الذات» الذي يتحدث عنه الكتاب المقدس.

؟«Kenosis» ماذا تعني

Kenosis. ومن هذا الفعل جاء المصطلح اللاهوتي. **kenoō (κενώνω)** الفعل اليوناني المترجم «أخلى نفسه» في فيلبي 2:7 هو

فماذا يعني أن يسوع أخلى نفسه؟

:أول ما يجب توضيحه بصورة قاطعة هو

يسوع لم يُخلِ نفسه من لاهوته

إن صيرورة يسوع إنساناً لا تعني أنه توقف عن كونه الله. فالمسيح المتجسد كان إلهًا حقًا وإنساناً حقًا في الوقت نفسه. وإذا فهمنا أن يسوع قد تخلّى عن لاهوته، فإننا بذلك نشوّه جوهر التجسد والإنجيل نفسه

فماذا تعني إذا عبارة «أخلّى نفسه»؟

عندما ننظر إلى السياق الكامل لفيلبي 2، يصبح المعنى أكثر وضوحًا. مع أن يسوع كان في صورة الله، فإنه بدلاً من التمسك بمكانته ومجده، وضع نفسه. وأخذ صورة عبد، وصار في شبه الناس، وأطاع حتى الموت، وموت الصليب (ع6-8)

لذلك لم يكن إخلاء يسوع لذاته تخلّيًا عن لاهوته، بل كان تواضعًا ونزولاً إلى موضع العبد

وبدلاً من المطالبة بحقوقه، خدمنا الرب

وبدلاً من إظهار مجده، وضع نفسه

وبدلاً من تقديم إرادته الخاصة، أطاع إرادة الأب

وأخيراً، على الصليب، بذل نفسه من أجلنا

التي أظهرها لنا يسوع **Kenosis** هذه هي صورة

«الإخلاء ليس «إلغاء الذات»، بل «تقديم الذات»

نكتشف هنا مبدأ مهمًا بشأن إخلاء الذات

أن أخلّي ذاتي لا يعني أن أصبح إنساناً بلا قيمة أو أهمية. كما أنه لا يعني أن أتخلّى بلا تمييز عن كل ما أملكه

إن إخلاء الذات بحسب الكتاب المقدس يعني أن أخلّي نفسي من الرغبة في أن أكون سيد حياتي، وأن أقدم ذاتي لإرادة الله

لم يُلغ يسوع وجوده. بل قدّم نفسه بالكامل لله

لذلك فإن إخلاء الذات ليس استسلاماً سلبياً، بل طاعة فعالة

«يا رب، سأختار إرادتك بدلاً مما أريده أنا»

«وبدلاً من المطالبة بحقوقتي، سأخدم بالمحبة»

هذا هو إخلاء الذات بحسب الكتاب المقدس

هذا هو إخلاء الذات بحسب الكتاب المقدس

ظهر إخلاء يسوع لذاته في الخدمة

في فيلبي 2:7 يظهر إخلاء يسوع لذاته مباشرة في صورة محددة

«أخذاً صورة عبد»

لا يكفي أن أقول إنني أخلّيت ذاتي في قلبي فقط. فإذا كنت قد أخلّيت ذاتي حقاً، فلا بد أن تظهر النتيجة في حياة تخدم الآخرين

كان يسوع هو الأعلى، لكنه نزل إلى أدنى موضع. وكان الرب مستحقاً أن يُخدم، لكنه بدلاً من ذلك خدم الناس.

وفي مرقس 10:45 وصف يسوع رسالته قائلاً:

«لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليُخدم بل ليُخدم».

لذلك لم يكن إخلاء يسوع لذاته مجرد حدث «تخلّى فيه عن شيء»، بل كان حدثاً بذل فيه نفسه لكي يحيا الآخرون.

وهنا ينشأ أماننا سؤال مهم:

ما الذي يجب أن أخليه؟

ولكن قبل ذلك ينبغي أن نسأل:

من أجل خدمة مَنْ يجب أن أخلي ذاتي؟

وهكذا يظهر إخلاء المسيح لذاته دائماً في المحبة والخدمة. وإخلاء الذات يقودنا دائماً نحو المحبة والخدمة.

بماذا يجب أن نملأ المكان الذي تم إخلاؤه؟

لكن علينا هنا أن نتذكر حقيقة مهمة أخرى.

إخلاء الذات ليس غاية في حد ذاته.

لا يكفي أن نصنع قلباً فارغاً. فالأهم هو ما الذي سيملاً المكان الذي تم إخلاؤه.

الإخلاء نفسه ليس الغاية. يجب أن يمتلئ المكان الذي تم إخلاؤه بفكر المسيح.

وفي النهاية، فإن غاية الإخلاء هي أن يكون فينا فكر المسيح.

ولهذا تبدأ فيلبي 2:5 بالقول:

«فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً».

ولهذا تحديداً شرح بولس إخلاء يسوع لذاته. فهو لا يقول لنا فقط أن ننظر إلى يسوع، بل يحثنا على أن يكون فينا فكر المسيح وأن

نحيا متشبهين به.

لذلك فإن إخلاء الذات في الحياة المسيحية ليس تدميرًا للذات.

بل هو تقديم ذواتنا لكي يحيا المسيح ويعمل فينا بصورة أكمل.

يجب أن يمتد إخلاء يسوع لذاته إلى حياتنا

إن إخلاء يسوع لذاته لا ينتهي بمجرد كونه حدثاً من أحداث التجسد وقع في الماضي.

بل يجب أن يمتد إخلاء المسيح لذاته اليوم إلى حياة التلاميذ الذين يتبعونه.

فكما وضع يسوع نفسه وأطاع إرادة الله وخدم من موضع العبد، علينا نحن أيضاً أن نخلي أنفسنا من الرغبة في أن نكون سادة حياتنا، وأن يكون فينا فكر المسيح.

لذلك فإن «إخلاء الذات» لا يكتمل بقرار واحد، بل هو مسيرة تلمذة نعيش فيها يوماً بعد يوم متبعين المسيح.

في نهاية الإخلاء يوجد المسيح

يسوع طريقاً لفقدان ذاته Kenosis لم يكن
بل كان طريقاً لتقديم ذاته بالكامل من أجل إرادة الله
لم يتخلَّ الرب عن لاهوته، بل وضع نفسه
لم يطالب بحقوقه، بل خدم
لم يسعَ إلى الحفاظ على نفسه، بل بذل نفسه من أجلنا
وأخيراً أطاع حتى الموت، موت الصليب
لذلك فإن «إخلاء الذات» الذي نتحدث عنه يجب أن يسير في الطريق نفسه
الإخلاء لا يعني إلغاء نفسي، بل إخلاء نفسي من الرغبة في أن أكون سيد حياتي
والإخلاء لا يعني التخلي عن كل ما أملكه، بل الاعتراف بأن الله هو سيد ومالك كل ما لدي
والإخلاء لا يعني ألا يبقى شيء، بل أن أهبط مكاناً يمكن أن يمتلئ بفكر المسيح
وفي نهاية هذا الإخلاء نرفع أنظارنا مرة أخرى إلى يسوع
«فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً»
ومن الآن فصاعداً، سنتأمل بحسب الكتاب المقدس، واحداً تلو الآخر، في الأمور المحددة التي ينبغي إخلاؤها من حياتنا
وإذ نتبع إخلاء المسيح لذاته، سنقف أمام كلمة الله ونفحص، واحداً تلو الآخر، ما الذي ينبغي إخلاؤه من حياتنا
وفي النهاية، يجب أن يكون كل إخلائنا إخلاءً يهيئ فينا مكاناً لفكر المسيح

الفصل الثاني: ما معنى إخلاء الذات بالنسبة للمسيحي؟

إن القول إن يسوع أخلى نفسه لا يعني أنه **Kenosis** في الفصل الأول تأملنا في تجسد يسوع المسيح وإخلائه لذاته، أي في معنى تخلى عن لاهوته، بل يعني أنه، بصفته ابن الله، لم يتمسك بالمجد والحقوق التي كانت له ليستفيد منها لنفسه، بل وضع نفسه وأخذ صورة عبد. وقد اكتمل هذا الإخلاء بطاعته وموته على الصليب.

والآن علينا أن نسأل: **كيف ينبغي لنا، نحن تلاميذ يسوع، أن نخلي ذاتنا؟**

إن إخلاء الذات بالنسبة للمسيحي ليس مجرد قرار ديني بالتخلي عن شيء ما. ولا يكتمل الإخلاء بمجرد التخلي عن رغبة واحدة، أو ترك خطة معينة، أو مشاركة جزء من ممتلكاتنا مع الآخرين.

إخلاء الذات في الحياة المسيحية هو أن نعترف بأن سيد حياتنا ليس نحن بل الله، وأن نسلم ذاتنا لإرادة الله.

ويُظهر بولس هذا الإخلاء من خلال حياته. ففي فيلبي 2:17 يقول:

«لكنني وإن كنت أنسكب أيضًا على ذبيحة إيمانكم وخدمته، أسرّ وأفرح معكم أجمعين».

تشير «السكبية» التي يتحدث عنها بولس هنا إلى ممارسة في ذبائح العهد القديم كان يُسكب فيها الخمر على الذبيحة. ويعلن بولس أنه إذا كان من الممكن أن تُقدّم حياته وخدمته لله، فإنه يعد ذلك فرحًا.

تُظهر لنا هذه الكلمات إلى أي مدى ينبغي أن يصل إخلاء الذات عند المسيحي. فالإخلاء لا ينتهي بأن نمتلك أقل قليلًا، بل يمتد إلى تقديم ذاتنا لله.

إخلاء الذات عند المسيحي هو إخلاء القلب من الرغبة في أن أكون سيد حياتي

نحن نحاول باستمرار في حياتنا أن نكون سادة أنفسنا.

نريد أن نخطط نحن، وأن نقرر نحن، وأن نسيطر نحن، وأن نسير الأمور في الاتجاه الذي نريده.

ولهذا، حتى عندما نصلي إلى الله، كثيرًا ما نطلب في الحقيقة أن تتحقق إرادتنا نحن.

لكن إخلاء الذات المسيحي يبدأ من هنا:

«حياتي ليست ملكي، بل هي لله».

يجب أن يصبح هذا الاعتراف واقعًا في حياتنا اليومية.

حتى عندما لا يحدث ما أريده، عليّ أن أثق بالله.

وعندما يفتح طريق مختلف عن خطتي، عليّ أن أطلب إرادة الرب.

وحتى لو تعرضت للخسارة، عليّ أن أختار الأمانة.
وحتى عندما أعتقد أنني على حق، عليّ أن أفحص نفسي مرة أخرى أمام كلمة الله.
هذا هو إخلاء الذات من السيادة على النفس.
الإخلاء لا يعني ألا نفعل شيئاً. بل يعني أن نحيا بفاعلية بحسب إرادة الله.
فتتغير صلاتنا من:
«يا رب، حقق الأمور كما أريد»
إلى:
«يا رب، لتكن إرادتك لا ما أريده أنا».

إخلاء الذات عند المسيحي هو إخلاء ما في داخلنا من الخطية والرغبات بأمانة

عندما نبدأ بإخلاء أنفسنا من الرغبة في أن نكون سادة حياتنا، نبدأ بصورة طبيعية في رؤية ما يسكن في داخلنا.
قد يكون هناك كبرياء.
قد يكون هناك طمع.
قد تكون هناك رغبة في نيل تقدير الآخرين.
قد تكون هناك رغبة في أن نبدو أشخاصاً صالحين أمام الناس.
وقد يكون هناك عناد يريد إثبات أننا على حق.
حتى عندما نعيش ظاهرياً حياة إيمانية مجتهدة، يمكن لهذه الرغبات أن تبقى في أعماق قلوبنا.
لذلك فإن إخلاء الذات عند المسيحي يعني أن نضع قلوبنا كل يوم أمام كلمة الله.
«يا رب، ما الذي لا يزال في داخلي؟»
«بماذا أتمسك؟»
«ما الذي يجعلني أغضب؟»
«ما الذي أخشى أن أفقده؟»
«ماذا أفعل لكي أنال قبول الناس وتقديرهم؟»
علينا أن نكون صادقين أمام هذه الأسئلة.
وعلينا أن نعترف ونتوب عما يكشفه الله لنا.
يبدأ الإخلاء لا بإخفاء الخطية الموجودة في داخلنا، بل بكشفها أمام الله.
إذا اكتشفنا الكبرياء، فعلينا أن نكشفه أمام الله ونخلي أنفسنا منه.
وإذا اكتشفنا الطمع، فعلينا أن نعترف به ونخلي أنفسنا منه.

وإذا اكتشفنا الكراهية، فلا ينبغي أن نخفيها، بل أن نخلي أنفسنا منها.
وإذا اكتشفنا الرياء، فعلينا أن ننزع قناعه ونخلي أنفسنا منه.
وسنتأمل في هذه الجوانب المحددة للإخلاء، واحدًا تلو الآخر، في الفصول من الرابع إلى الثاني عشر.

إخلاء الذات عند المسيحي هو ملء المكان الفارغ بالمسيح

لكن علينا ألا ننسى حقيقة بالغة الأهمية

الإخلاء في حد ذاته ليس الغاية

قد نخلي قلوبنا من طمع معين، ثم يأتي طمع آخر ليملأ مكانه. وقد نظن أننا أخلينا أنفسنا من الكبرياء، ثم ينشأ فينا افتخار بأننا «لسنا متكبرين».

لذلك فإن الإخلاء الذي يتحدث عنه الكتاب المقدس لا يعني مجرد جعل القلب فارغًا

بل يعني ملء المكان الذي تم إخلاؤه بالمسيح

إخلاء الذات في الحياة المسيحية لا يعني ترك القلب فارغًا، بل ملء المكان الذي تم إخلاؤه تدريجيًا بفكر المسيح

وفي النهاية، فإن إخلاء الذات عند المسيحي هو مسيرة التشبه بالمسيح

:ولهذا يقول بولس في فيلبي 2:5

«فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضًا».

«إن سبب إخلاننا لذواتنا ليس مجرد أن نصبح «أشخاصًا صالحين

بل لكي يستقر فكر المسيح في داخلنا

إخلاء الذات عند المسيحي يظهر في إنكار الذات

تحدث يسوع إلى تلاميذه بوضوح شديد عن الحياة المسيحية

إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (متى 16:24)

إن «إنكار الذات» لا يعني إنكار وجودنا أو كراهية أنفسنا

بل يعني إخلاء أنفسنا من الرغبة في أن نكون أصحاب السيادة النهائية على حياتنا

أن نقدم إرادة الرب على إرادتنا

أن نختار المحبة بدلًا من راحتنا

أن نختار الخدمة بدلًا من حقوقنا

أن نختار المصالحة بدلًا من كبريائنا

أن نختار الحق بدلاً من مصالحنا

.هذا هو إنكار الذات

.ولذلك فإن إنكار الذات لا ينتهي بقرار عاطفي واحد، بل يتحقق في اختياراتنا اليومية

هل سأختار اليوم إرادتي أم إرادة الله؟

هل سأطالب اليوم بحقوقى أم سأخدم بالمحبة؟

هل سأرفع نفسي اليوم أم سأبني شخصاً آخر؟

.إن هذه الاختيارات الصغيرة تجتمع لتشكّل حياة الإخلاء عند المسيحي

إخلاء ذاتي في الأسرة

فمن أين يجب أن يبدأ هذا الإخلاء؟

:يجب أن يبدأ من أقرب مكان إلينا

.الأسرة

.من الصعب أن نخفي حقيقتنا في البيت، لأن الزوج أو الزوجة والأبناء يروننا عن قرب أكثر من أي شخص آخر

.لذلك يجب أن يكون إخلاء الذات في الأسرة عملياً جداً

.بدلاً من انتظار أن يفهمني شريك حياتي أولاً، ينبغي أن أسعى أنا أولاً إلى فهمه

.وبدلاً من انتظار أن يعتذر الطرف الآخر أولاً، ينبغي أن أمد أنا أولاً يد المصالحة

.وبدلاً من التمسك بفكرة «أنا على حق»، ينبغي أن أستمع إلى كلام الطرف الآخر حتى النهاية

.وبدلاً من استحضار أخطاء الماضي واحداً تلو الآخر لمهاجمة الآخر، ينبغي أن أغفر ونبدأ من جديد

.وبدلاً من النظر إلى مستقبل أبنائي على أنه وسيلة لمجدي ونجاحي، ينبغي أن أستودعهم لله وأربيهم بالمحبة

.هذا هو إخلاء الذات في الأسرة

،وعلى الزوجين بصورة خاصة، بدلاً من المطالبة بحقوقهما، أن يحبا ويحترما أحدهما الآخر بحسب محبة المسيح (أفسس 5:25

33).

.في الأسرة، أول شخص ينبغي أن أخليه ليس الطرف الآخر، بل نفسي

إخلاء ذاتي في جماعة الكنيسة

.يجب أن يظهر الإخلاء بصورة عملية جداً في الكنيسة أيضاً

عندما نتولى مسؤولية في الكنيسة، قد تنشأ فينا رغبة في نيل تقدير الناس. وقد نرغب في أن يعرف الآخرون ما فعلناه وأن يعترفوا

.بأننا على حق

.لكن المهم في كنيسة الرب ليس مدى ارتفاع مكانتي، بل مقدار ما ساهمت به في بناء الآخرين

:قال يسوع

إذا أراد أحد أن يكون أو لا فيكون آخر الكل وخادمًا للكل» (مرقس 9:35).

إن إخلاء ذاتي في الكنيسة لا يعني التخلي عن مسؤوليتي أو خدمتي.

بل يعني أن أفهم المسؤولية الكنسية لا على أنها مكان لرفع نفسي، بل مكان للخدمة.

أن أعطي المجد لله عندما يمدحني الناس، وأن أستمع بتواضع إلى الآراء التي تختلف عن رأيي، وأن أقوم بصمت بما ينبغي القيام به حتى لو لم يقدّرني أحد، وأن أفسح المجال للآخرين طوعًا من أجل نموهم.

أنا لست سيد الكنيسة. يسوع المسيح وحده هو رب الكنيسة.

لذلك، بدلًا من رفع أنفسنا بسبب منصب أو خبرة أو معرفة، علينا أن نضع أنفسنا من أجل بنيان جسد المسيح.

إخلاء ذاتي في مكان العمل

مكان العمل أيضًا موضع مهم يُختبر فيه إخلاء الذات عند المسيحي.

نريد التقدير في العمل. نريد الترقية. نريد مكافآت أكبر. وأحيانًا قد نعتقد أن بعض التحايل أو المبالغة أمر مقبول إذا كان سيساعدنا على التغلب على منافس.

لكن إخلاء الذات عند المسيحي يعني اختيار الأمانة في مكان العمل أيضًا.

لا ينبغي أن نعمل باجتهاد فقط عندما يراقبنا المسؤول، بل علينا أن نكون أمناء حتى عندما لا يرانا أحد.

لا ينبغي أن نستغل الآخرين من أجل مصالحنا.

ولا ينبغي أن نكذب أو نغتاب منافسًا لكي نسقطه.

ولا ينبغي أن ننسى استخدام ممتلكات الشركة أو وقتها أو مواردها كما لو كانت ملكًا شخصيًا لنا.

وحتى عندما نواجه موقفًا غير عادل، لا ينبغي أن نجازي الشر بالشر.

لماذا؟

لأن السيد النهائي الذي نخدمه ليس إنسانًا بل الله.

تقول أفسس 6:7:

«خادمين بنية صالحة كما للرب، ليس للناس».

إن إخلاء الذات في مكان العمل يعني إخلاء أنفسنا من العيش تحت سيطرة أنظار الناس، والعيش بأمانة أمام عيني الله.

الإخلاء يظهر في الخدمة

مماررأيناه حتى الآن، يتضح إلى أين يقود إخلاء الذات عند المسيحي.

الإخلاء يقود بصورة طبيعية إلى حياة الخدمة.

من خلال إخلائه لذاته، صار يسوع عبداً، وبصفته عبداً خدمنا

:وفي متى 27:20-28 قال الرب

«ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً، كما أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين»

.كان إخلاء يسوع متجهًا نحو الصليب

.وعلى ذلك الصليب بذل الرب حياته من أجلنا

.لذلك يجب أن يقود إخلاء الذات عند المسيحي إلى حياة تحب الآخرين وتبنيهم

.فعندما أخلي نفسي من الرغبة في أن أكون أنا المركز، أستطيع عندئذ أن أرى احتياجات الآخرين وأخدمهم بالمحبة

.وهكذا يجعل الإخلاء المحبة ممكنة، وتظهر المحبة في الخدمة

«ثلاث ممارسات يومية لـ»إخلاء الذات

كيف يمكننا إذاً أن نتدرب على الإخلاء في حياتنا اليومية؟

.اسأل نفسك كل يوم ثلاثة أسئلة

أولاً، بماذا أتمسك اليوم؟

.تأمل فيما تتعلق به بصورة مفرطة

.قد يكون المال

.وقد يكون المكانة أو المجد

.وقد يكون تقدير الناس

.وقد تكون إرادتك وخططك

.وقد تكون جراح الماضي أو مشاعر الاستياء

.اعترف بها بصدق أمام الله وأخل نفسك منها

ثانياً، ماذا سأختار اليوم؟

.الإخلاء لا ينتهي عند مستوى التفكير

كيف سأتكلم عندما أغضب؟

كيف سأصرف عندما أتعرض للخسارة؟

كيف سأعامل شخصاً لا يقدرني؟

كيف سأقبل شخصًا يختلف معي؟
في مثل هذه اللحظات تحديدًا يظهر إنكار الذات بصورة عملية.
اختر طريق كلمة الله، لا الطريق الذي تريد مشاعرك أن تسلكه.

ثالثًا، بماذا سأملاً المكان الذي أخليته؟

.لا تتوقف بعد الإخلاء
.لا تتوقف بعد الإخلاء
.املاً المكان الفارغ بكلمة المسيح وفكره
.وفوق كل شيء، اختر فكر المسيح
.عندما يسير الإخلاء والامتلاء معًا بهذه الطريقة، يتجاوز إيماننا مجرد تهذيب الذات ويصبح طريق تلمذة نتشبه فيه بالمسيح

الإخلاء يقود إلى حياة الخدمة

.إخلاء الذات عند المسيحي ليس مجرد التخلي عما أملكه
.بل هو الاعتراف بأنني لست سيد حياتي
.أن أخلي نفسي من إرادتي وأختار إرادة الله
.أن أخلي نفسي من الطمع وأختار المحبة
.أن أخلي نفسي من التمسك بحقوقى وأختار الخدمة
.أن أخلي نفسي من الافتخار وأرفع المسيح
.وأن أملأ المكان الذي تم إخلاؤه بكلمة الله وفكر المسيح
.وكما وضع يسوع نفسه وأخذ صورة عبد، علينا نحن أيضًا أن نضع أنفسنا في حياتنا اليومية ونخدم قريبنا بالمحبة
:لذلك يمكن تلخيص إخلاء الذات عند المسيحي في جملة واحدة
«أن أخلي نفسي من الرغبة في أن أكون سيد حياتي، وأن أقدم نفسي لله لكي يكون المسيح هو رب حياتي»
.وهذا الإخلاء يقود بالضرورة إلى الخطوة التالية
.من يخلي ذاته يصبح إنسانًا يخدم
.فإذا كان يسوع قد أخلى نفسه وصار عبدًا، فعلينا نحن الذين نتبعه أيضًا أن نخلي ذواتنا ونتقدم إلى موضع خدمة قريبنا

الفصل الثالث: ماذا يعني أن نخلي ذواتنا ونخدم قريبنا كعبيد؟

في الفصلين الأول والثاني تأملنا في معنى إخلاء يسوع المسيح لذاته، وفي معنى حياة الإخلاء المطلوبة من المسيحي الذي يتبع الرب. «ويبقى أمامنا سؤال واحد: «كيف يظهر إخلاء المسيحي لذاته في حياته العملية؟

الجواب الذي يقدمه الكتاب المقدس واضح:

من يخلي ذاته يصير عبداً ويخدم قريبه.

لا ينتهي الإخلاء بمجرد التخلي عن رغباتنا الأنانية. فعندما نخلي قلوبنا من الرغبة في أن نكون نحن أسياد حياتنا، ونمتلئ بفكر المسيح، نبدأ بصورة طبيعية في الاهتمام ليس بمصالحنا فقط، بل بمصالح الآخرين أيضاً.

لذلك فإن إحدى أوضح ثمار حياة إخلاء الذات هي الخدمة.

كان يسوع المسيح في صورة الله، لكنه أخلى نفسه وأخذ صورة عبد (فيلبي 2: 6-7). ورب الكون كله لم يأت لكي يُخدم، بل ليخدم. ويبدل نفسه فدية عن كثيرين (متى 20: 28).

فكيف ينبغي لنا نحن الذين نلنا نعمة إخلاء المسيح لذاته أن نحيا؟

في الأسرة، وفي الكنيسة، وفي مكان العمل، وأمام كل قريب نلتقي به، علينا ألا نحيا حياة تسعى إلى رفع أنفسنا، بل حياة نخلي فيها. ذواتنا لكي نخدم الآخرين.

وتظهر هذه الصورة بأوضح شكل في غسل يسوع أرجل تلاميذه.

من يخلي ذاته يضع نفسه ويخدم

في يوحنا 13: 14-15 يقول يسوع لتلاميذه:

فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض. لأنني أعطيتكم مثلاً، حتى كما: «صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً».

لم يعلم يسوع الخدمة بالكلام فقط.

بل قام بنفسه، وخلع ثيابه الخارجية، وأخذ منشفة واتزر بها، ثم غسل أرجل تلاميذه (يوحنا 13: 4-5).

في ذلك الزمن، كان الناس يلبسون الصنادل ويمشون في طرق كثيرة الغبار، ولذلك كان من الطبيعي أن تتسخ أرجلهم بالتراب والغبار. ولهذا كان غسل الأرجل عملاً من أعمال الخدمة يتم من أدنى موضع.

ولكن من الذي قام بهذا العمل؟

يسوع، معلم التلاميذ وربهم.

كان التلاميذ، رغم اتباعهم ليسوع، يتجادلون أحيانًا حول من هو الأعظم بينهم. لكن يسوع، وهو مقبل على الصليب، لم يرفع نفسه بل انحنى بنفسه وغسل أرجل تلاميذه. وأمام أولئك التلاميذ، انحنى الرب بدلًا من أن يرفع نفسه.

هذا هو الإخلاء الذي أظهره يسوع.

الإخلاء ليس مجرد التخلي عما نمتلكه، بل هو إخلاء القلب من الرغبة في رفع الذات.

إنه إخلاء الرغبة في نيل التقدير، والرغبة في أن يعاملنا الآخرون معاملة مميزة، والرغبة في أن يعترف الناس بتعبنا، والرغبة في الوقوف في مكان أعلى من الآخرين.

لذلك فإن التواضع لا يعني مجرد أن ننظر إلى أنفسنا نظرة متدنية.

التواضع الحقيقي هو أن نخلي أنفسنا من الشعور بأننا نستحق معاملة خاصة، وأن نختار طوعًا الموضع المتواضع من أجل منفعة الآخرين.

كان يسوع هو الرب، لكنه وقف في موضع العبد.

وبالمثل، لا ينبغي لنا أن نعتقد أننا نستحق معاملة أرفع من الآخرين بسبب منصب كنسي أو خبرة مهنية أو تعليم أو ثروة أو مكانة اجتماعية.

بل ينبغي أن نستخدم ما لدينا لخدمة الآخرين.

في الأسرة والكنيسة ومكان العمل، بدلًا من إظهار أنفسنا ورفعها، ينبغي أن نختار طوعًا الموضع المتواضع من أجل احتياجات الآخرين وخير الجماعة.

هذه هي حياة من يخلي ذاته ويصير عبدًا.

من يخلي ذاته يستر أخطاء قريبه

عندما نتأمل في غسل يسوع أرجل تلاميذه، علينا أيضًا أن نفكر في كيفية تعاملنا مع ضعفات الآخرين وأخطائهم.

وكما اتضع الرب وخدم تلاميذه، علينا عندما نكتشف ضعف شخص آخر ألا نستخدمه وسيلة لرفع أنفسنا، بل أن نحتضن ذلك الشخص بالمحبة ونسعى إلى استرداده.

نكتشف ضعفات الآخرين بسهولة شديدة.

وكلما كان الشخص قريبًا منا، رأينا المزيد من أخطائه.

فنحن نعرف عيوب شريك حياتنا، ونقائص أبنائنا، وأخطاء زملائنا، وضعفات إخوتنا وأخواتنا في الكنيسة.

لكن السؤال هو: ماذا نفعل بعدما نرى تلك الأخطاء؟

يسعى العالم إلى كشف أخطاء الآخرين لكي يرفع الإنسان نفسه.

أما المسيحي، فعندما يرى خطأ الآخر، لا يستغله بل يستتره بالمحبة.

يقول أمثال 17:9:

«من يستتر معصية يطلب المحبة، ومن يكرر أمرًا يفرق بين الأصدقاء».

إن ستر الخطأ لا يعني اعتبار الخطأ كأنه لم يحدث، ولا يعني ترك الخطية بلا معالجة.

بل يعني أننا عندما نرى خطأ شخص ما، لا ننشره بين الناس ولا نستخدمه سلاحًا لإدانته، بل نسعى إلى استرداده بالمحبة والحق.

«وتقول كورنثوس الأولى 13:5 أيضًا إن المحبة «لا تحسب السوء».

تحمل معنى الحساب أو تسجيل شيء في دفتر حسابات، و **logizomai**، والكلمة اليونانية المستخدمة هنا.

المحبة لا تسجل أخطاء الطرف الآخر في دفتر القلب لكي تخرجها فيما بعد وتستخدمها ضده.

لذلك يظهر إخلاء الذات بالمحبة في الصور التالية.

أولاً، لا نكرر ذكر أخطاء الماضي

«عندما يختلف الزوجان، لا ينبغي لأحدهما أن يهاجم الآخر باستمرار قائلاً: «لقد فعلت الشيء نفسه في الماضي».

وعندما يخطئ زميل في العمل، لا ينبغي أن نستخرج أخطاءه التي ارتكبها قبل سنوات لنحكم بها على شخصه اليوم.

فإذا كنا قد غفرنا، فلا ينبغي أن نستمر في تسجيل الخطأ في دفتر الإدانة.

ثانيًا، لا نفسر دوافع الآخرين بالشر دون دليل.

نحن نسيء بسهولة فهم تصرفات الآخرين.

«لا بد أنه قال ذلك ليحتقرني».

«لا بد أنه فعل ذلك لأنه يكرهني».

«إنه يفعل ذلك لأنه يريد أن يأخذ مكاني».

إذا حكمنا على قلب الآخر بناءً على أفكار غير مؤكدة كهذه، فقد نصنع في أذهاننا خطية من أمر لم يحدث أصلاً.

من يخلي ذاته لا يجعل حكمه الشخصي معياراً مطلقاً.

بل يسأل أولاً:

«هل يمكن أن أكون قد أسأت الفهم؟»

وإذا أمكن، يتحدث مباشرة مع الشخص، ويتحقق من الحقائق، ويترك المجال لاحتمال أن تكون لدى الطرف الآخر نية حسنة.

ثالثاً، لا نستمر في تنمية الكراهية والاستياء في قلوبنا

إذا ظللنا نعيد خطأ الآخر في أذهاننا مرارًا، فقد يتحول حتى الجرح الصغير إلى غضب واستياء.
لذلك، بدلًا من التمسك بخطأ الآخر وتنمية الكراهية، ينبغي أن نسلم الأمر لله ونتعامل مع الشخص بالمحبة.
والسبب الذي يجعلنا قادرين على ستر أخطاء الآخرين هو أننا نحن أنفسنا قد نلنا غفران الله أولاً.
فالله يعرف جميع أخطائنا، ومع ذلك غفر لنا في المسيح.
لذلك، من نال الغفران يغفر.
ومن نال النعمة يمنح النعمة.
وكما أدركنا عظمة الغفران الذي نلناه، ينبغي أن يتغير موقفنا من أخطاء الآخرين.

من يخلي ذاته لا يخدم بالكلام فقط، بل بالأعمال

بعد أن غسل يسوع أرجل تلاميذه قال:
«لأنني أعطيتكم مثالًا، حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضًا» (يوحنا 13:15).
لم يتوقف الرب عند شرح الخدمة.
بل مارسها بنفسه.
وهذا مبدأ بالغ الأهمية لنا اليوم أيضًا.
يجب أن يُثبت الإخلاء بالأعمال.
توصينا يوحنا الأولى 3:18:
«يا أولادي، لا نحب بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل والحق».
حتى في ذلك الزمن، كان هناك من يقولون إنهم يحبون إخوتهم، لكنهم في الواقع كانوا يتجاهلون الأخ المحتاج.
ولم يعتبر يوحنا مثل هذه المحبة محبة حقيقية.
فإذا عرفنا ما يحتاج إليه شخص ما ولم نفعل شيئًا، فلا يكفي أن نقول بالسنتنا إننا نحبه (الآية 17).
يجب أن تظهر المحبة في العمل.
يجب أن نعطي الجائع طعامًا.
وأن نخصص وقتًا لنكون مع الوحيد.
وأن نقدم مساعدة عملية لمن يمر بصعوبة.
ومن يجب أن نغفر له، علينا أن نغفر له.
وإذا كنت أنا الذي ينبغي أن أعتذر أولاً، فعلي أن أعتذر أولاً.
«وعندما أرى شخصًا يحتاج إلى المساعدة، فلا ينبغي أن أتجاوزة قائلاً في نفسي: «سيقوم شخص آخر بذلك».

هذه هي الصور العملية لحياة نخلي فيها ذواتنا ونعيش كعبيد.
ونقول رسالة يعقوب أيضًا إن الإيمان بدون أعمال ميت (يعقوب 2:17).
والمبدأ نفسه ينطبق على المحبة.

المحبة التي بلا أعمال لا تستطيع أن تظهر ثمر المحبة في حياتنا

فمهما كانت عبادتنا حارة في الكنيسة، ومهما كان لدينا من معرفة كتابية، ومهما استخدمنا كلمات إيمانية جميلة، إذا كنا لا نخدم شريك حياتنا في البيت، ولا نراعي زملاءنا في العمل، ونتجاهل قريبنا الذي يمر بضيق، فإن إخلاءنا لم يتحول بعد إلى حياة عملية. غسل يسوع أرجل تلاميذه.
لذلك علينا نحن أيضًا أن نسأل:

أرجل من ينبغي أن أغسل اليوم؟

وبالطبع، لا يعني هذا فقط أن علينا اليوم أن نغسل أرجل شخص آخر حرفيًا.
السؤال المهم هو: هل أستطيع، بدافع المحبة، أن أقوم بالعمل الذي لا أرغب في القيام به، والعمل الذي لن يعرفه أحد، والعمل الذي تقاومه كرامتي وكبريائي؟
هل أستطيع أن أبادر إلى القيام بالعمل الذي لن يلاحظه أحد؟
وهل أستطيع أن أحب أولاً حتى إذا لم يعاملني الطرف الآخر بلطف أولاً؟
أمام هذه الأسئلة يظهر إخلاؤنا بصورة عملية.

الإخلاء يظهر في النهاية في الخدمة

يمكننا الآن أن نرى بوضوح اتجاه حياة إخلاء الذات.
أخلى يسوع نفسه.
والرب الذي أخلى نفسه أخذ صورة عبد.
والرب الذي صار عبدًا غسل أرجل تلاميذه.
ثم قال لتلاميذه:
«كما صنعت أنا بكم، تصنعون أنتم أيضًا».
لذلك فإن إخلاء الذات عند المسيحي ليس أبدًا مجرد تدريب روحي من أجل الذات.

بل هو حياة يُسترد فيها الآخرون بقدر ما أخلي أنا ذاتي، ويُبنى فيها الآخرون بقدر ما أضع أنا نفسي، وتتدفق فيها محبة الله إلى القريب بقدر ما أخدم.

لذلك علينا أن نسأل أنفسنا:

هل أخلي نفسي من الرغبة في نيل التقدير وأخدم حتى في الأماكن التي لا يراني فيها أحد؟

عندما أكتشف خطأ شخص آخر، هل أكشفه أم أحتضن الشخص بالمحبة؟

هل أحب بالكلام فقط، أم أحب أيضاً بأعمال عملية؟

علينا أن نقف بصدق أمام هذه الأسئلة.

إن إخلاء ذاتي لا يعني أن أختفي.

ولا يعني أن أتخلى عن شخصيتي أو مسؤولياتي.

بل يعني أن أخلي قلبي من الرغبة في تنصيب نفسي ملكاً، وأن أقبل فكر المسيح في ذلك المكان.

وفي الإنسان الممتلئ بفكر المسيح، يظهر الإخلاء في ثمر المحبة والخدمة.

فعندما أخلي نفسي من الرغبة في أن أكون أنا المركز، أستطيع أن أنظر إلى مصالح الآخرين وأخدمهم بإرادتي.

لقد أخلى يسوع نفسه لكي يخدمنا.

والآن، بما أننا نلنا هذه النعمة، علينا نحن أيضاً أن نخلي أنفسنا من الرغبة في رفع ذواتنا وفي أن نكون أسياد حياتنا، وأن نحيا طالبين.

إرادة الله وخير قريبتنا قبل إرادتنا ومصالحنا.

الإخلاء الحقيقي لا ينتهي بمجرد التخلي عن شيء ما.

بل ينبغي أن نملأ المكان الذي أخليناه بفكر المسيح، وأن ننتقل إلى حياة نخدم فيها قريبتنا بالتواضع والمحبة اللذين أظهرهما لنا الرب.

وفي النهاية، فإن إخلاء الذات عند المسيحي لا يعني محو الذات.

بل يعني إخلاء القلب من الرغبة في أن أكون أنا سيد حياتي، وتسليم مركز حياتي للمسيح.

الجزء الثاني: ما يجب أن نخليه من داخلنا

”الفصل الرابع: إخلاء “الكبرياء

رأينا فيما سبق أن يسوع المسيح أخلى نفسه وأخذ صورة عبد، وأن إخلاء تلميذ المسيح لذاته ينبغي أن يظهر في المحبة والخدمة ”ومن الآن فصاعدًا سنتأمل أمام كلمة الله، واحدًا تلو الآخر، في الأمور التي ينبغي أن نخلي منها قلوبنا. وأولها “الكبرياء إن إخلاء الذات لا يعني إخفاء الخطيئة الموجودة في داخلنا، بل يبدأ بكشفها والاعتراف بها أمام الله. عندما نكتشف الكبرياء، علينا أن نحضره أمام الله ونتوب عنه. علينا أن نكشف في نور الكلمة رغبتنا في الكرامة والتقدير، ورغبتنا في الارتفاع فوق الآخرين، وإصرارنا على أن أفكارنا هي الصحيحة. عندئذ يبدأ الإخلاء الحقيقي الكبرياء من أعمق الخطايا المتجذرة في الطبيعة البشرية الساقطة. فهو يجعلنا ننسى نعمة الله الذي خلصنا، وننسب إلى أنفسنا المجد الذي ينبغي أن يعود لله. إذا كنا نقول إننا نخدم الرب في العمل والأسرة والكنيسة، ومع ذلك ننتظر أن يعاملنا الآخرون معاملة خاصة، ونغضب عندما لا تُقبل إرادتنا، ونرى أخطاء الآخرين بوضوح ولا نرى أخطاءنا، فعلينا أن نفحص إن كان الكبرياء قد وجد مكانًا في داخلنا الكبرياء ليس مجرد سمة شخصية أو اعتزاز قوي بالنفس. إنه اتجاه في القلب يضع الذات قبل الله، ومحاولة خاطئة لأخذ المجد الذي يخص الله.

الكبرياء هو قلب يرفع الذات فوق الله

يخبرنا أمثال 16:5 أن الرب يكره المتكبر القلب. الكبرياء ليس مجرد مشكلة في التعامل مع الآخرين، بل خطيئة تفسد علاقتنا بالله. الله هو السيد، لكنني أتصرف كأنني السيد. ما لدي هو نعمة من الله، لكنني أفخر به كأنني حققته بقوتي. هذا هو الكبرياء. ولهذا يحذر أمثال 16:18 من أن الكبرياء يسبق الهلاك. علينا أن نسال أنفسنا: هل أنا شديد الحساسية تجاه تقدير الآخرين؟ هل أتأذى عندما لا يُقبل رأيي؟ هل أغار عندما يحصل شخص آخر على تقدير أكبر؟ هل أحزن عندما لا يلاحظ الناس تعبي؟ هل أبدأ بتقديم الأعذار عندما يشير أحد إلى خطئي؟ هل أريد تعليم الآخرين بينما أرفض أن أتعلم؟ إذا أزعجتنا هذه الأسئلة، فلا ينبغي أن نهرب منها. فقد تكون اللحظة التي يكشف فيها الله كبرياء قلوبنا بواسطة مرآة كلمته الكبرياء يضع أفكاره فوق كلمة الله

في إرميا 43 نرى أشخاصًا سمعوا كلمة الله الواضحة، لكنهم رفضوها ووضعوا حكمهم الشخصي فوقها. وقد نفعل نحن الشيء نفسه. عندما تتعارض كلمة الكتاب المقدس مع أفكارنا، هل أرفضها قبل أن أفحص نفسي أمامها؟ الإنسان المتواضع يسأل أولاً: "يا رب، ماذا أرى بصورة خاطئة؟" "ماذا ينبغي أن أخلي من داخلي؟" "ماذا تريد أن تكسر فيّ من خلال هذه الكلمة؟" الكبرياء يجعل الكلمة تناسب الإنسان؛ أما التواضع فيجعل الإنسان يخضع للكلمة.

الكبرياء يجعلنا نصغر نعمة الله

في سفر العدد 16، عارض قورح موسى وهارون. لم تكن مشكلة قورح أن الله أعطاه نعمة قليلة، بل أنه، رغم النعمة العظيمة التي نالها، اعتبرها شيئاً صغيراً. الكبرياء يجعل ما لدينا يبدو أمراً مستحقاً وطبيعياً. ولهذا يبدأ طريق إخلاء الكبرياء بالشكر: "يا رب، كل ما لدي الآن هو نعمة" "قدرتي على الخدمة في هذا المكان هي نعمة" "مواهبي وفرصي وعلاقاتي كلها عطايا منك"

الكبرياء يهدم الجماعة

لم يبق كبرياء قورح مجرد استياء شخصي، بل جمع الناس لمقاومة موسى وهارون. عندما يدخل الكبرياء إلى الجماعة، يقسم الناس، ويزرع الشك، ويثير المقاومة، ويدمر السلام. لذلك علينا أن نسأل: "هل أتكلم لمجد الله أم لأجمع الناس حول رأيي؟" "هل أطلب خير الجماعة أم أبني فريقاً الخاص؟" "هل أريد تثبيت الحق أم الحصول على الاعتراف لنفسي؟"

الكبرياء يظهر بسهولة أكبر في النجاح

يعلّمنا حزقيال 28 أن الجمال والحكمة والنجاح، إذا لم تُقد إلى الشكر لله، قد تتحول إلى أدوات للكبرياء. المال والنجاح ليسا خطية في ذاتهما. المشكلة هي أن ننسى من أعطاهما لنا. تثنية 8:17-18 يذكرنا بأن الله هو الذي يعطينا القدرة على تحصيل الثروة. صحيح أنني عملت بجد. صحيح أنني اجتهدت ودرست واستعددت. لكن من أعطاني الحياة والصحة والحكمة والفرصة؟ الله.

لذلك كلما نجحنا أكثر، ينبغي أن نتواضع أكثر.
وكما نلنا أكثر، ينبغي أن نخدم أكثر.

عزيا تكبر بعدما صار قويا

يظهر أخبار الأيام الثاني 26 بوضوح فشل الملك عزيا.
لقد حصل على معونة عجيبة حتى صار قويا، ولكن عندما قوي ارتفع قلبه.
هذا تحذير مهم لنا.
قد نطلب الله عندما نكون ضعفاء، ثم عندما نصير أقوياء نتوهم أننا نستطيع الحياة بدونه.
عندما ينجح العمل، وتنمو الخدمة، ويعترف الناس بنا، وتحسن أوضاعنا المالية، ويزداد تأثيرنا، علينا أن نكون أكثر حذرا
”حدث هذا لأنني جيد“
”حققت هذا لأنني قادر“
”الآن أستطيع تدبير الأمور بنفسى“
في هذه اللحظة نبدأ بتحويل نعمة الله إلى قدرة شخصية.

حزقيا تكبر حتى بعد أن نال النعمة

يظهر أخبار الأيام الثاني 24:32-25 أن حزقيا اختبر نعمة عظيمة واستجابة للصلاة، ومع ذلك ارتفع قلبه.
كثرة الاختبارات الروحية لا تحررنا تلقائيا من الكبرياء.
بل كلما اختبرنا نعمة أكثر، ينبغي أن نتواضع أكثر.
ولهذا يحذر بولس في 1 كورنثوس 10:12 من يظن أنه قائم أن ينتبه لئلا يسقط.

”في أعماق الكبرياء يوجد“ البر الذاتي

لا يظهر الكبرياء في المال والنجاح فقط.
هناك شكل أعمق وأكثر خفاء، وهو البر الذاتي.
”في لوقا 10:29 أراد معلم الناموس أن“ يبرر نفسه.
بدلاً من الاعتراف بنقصه، أراد إثبات أنه على حق.
هذا هو الكبرياء الديني.
”لقد فعلت كل هذا“
”أنا أفضل من الآخرين“
”أنا مختلف عن ذلك الشخص“
”أنا أعرف الكتاب المقدس أكثر“
”أنا مؤمن منذ وقت أطول“
قد تبدو هذه الأفكار روحية، بينما تختبئ في مركزها الرغبة في رفع الذات.
ومثل الفريسي والعشار في لوقا 18 يوضح ذلك.
الفريسي افتخر ببره.

أما العشار فوقف بعيداً وقال:

”اللهم ارحمني أنا الخاطئ“

.المتكبر يتمسك ببره

.التواضع يتمسك برحمة الله

الكلمة مرآة تكشف كبرياءنا

.كلمة الله مرآة تنير قلوبنا

.والهدف من قراءة الكلمة ليس البحث عن أخطاء الآخرين

”هذا الشخص يحتاج أن يسمع هذه الكلمة“

”لدينا شخص كهذا في الكنيسة“

”هناك شخص كهذا في عائلتي“

.إذا قرأنا بهذه الطريقة، فقد نقرأ الكلمة ولا نرى كبرياءنا

:يجب أن تُطبق الكلمة عليّ أولاً

”يا رب، أرى نفسي في هذه الكلمة“

”يا رب، أنا هذا الشخص“

”يا رب، هذا الكبرياء موجود في داخلي أيضاً“

.هنا يبدأ الإخلاء

الكبرياء يظهر في الجدل والنزاع

.تربط 1 تيموثاوس 3:6-5 الكبرياء بالجدالات والحسد والنزاع والافتراء والظنون الرديئة

.القلب المتكبر يجد صعوبة في الاعتذار

”أنا أخطأت“

.قد تكون هذه الكلمات صعبة لأننا نظن أن الاعتذار يجعلنا أصغر

.لكن الإنجيل يعلمنا طريق الاتضاع لأن يسوع نفسه اتضع

.التواضع ليس هزيمة

.التواضع هو الاعتراف بسيادة الله

كبرياء كنيسة كورنثوس منعها من رؤية الخطية خطية

.في 1 كورنثوس 5:1-2 يوبخ بولس الكنيسة لأنها، رغم وجود خطية خطيرة، تكبرت بدلاً من أن تحزن

.الكبرياء لا يجعلنا نخطئ فقط، بل قد يمنعنا أيضاً من رؤية الخطية خطية

.نخطئ ثم نقدم الأعداء

.نرتكب الخطأ ثم نتحدث عن أخطاء الآخرين

.عندما نُوبخ ندافع عن أنفسنا بدلاً من التوبة

.أما الإنسان الذي يعيش الإخلاء، فعندما يرى خطيته يتوب أولاً

.التوبة قبل الأعداء

.فحص النفس قبل الحكم على الآخرين

.طلب رحمة الله قبل الدفاع عن الذات

تحول شاول من التواضع إلى الكبرياء

لم يكن شاول متكبراً منذ البداية.
في 1 صموئيل 15:17 ذكّره صموئيل بأنه عندما كان صغيراً في عيني نفسه جعله الله رأساً لأسباط إسرائيل.
لكن قلبه بدأ يتغير بعد أن صار ملكاً ونال القوة.
كوننا متواضعين اليوم لا يضمن أننا سنكون متواضعين غداً.
لذلك يجب أن نفحص أنفسنا كل يوم.
عندما أصبحت الظروف في عيني شاول أكبر من كلمة الله، وضع حكمه الشخصي فوق الكلمة.
”الوضع عاجل جداً“
”عليّ أن أقرر بنفسي“
”إذا أطعت الكلمة فسأخسر“
”لنجعل هذه المرة استثناء“
هكذا يمكن أن يبدأ الكبرياء.

رفع شاول اسمه فوق مجد الله

في 1 صموئيل 15:12 أقام شاول نصباً لنفسه.
هذه هي حقيقة الكبرياء:
أن ننسب لأنفسنا ما فعله الله.
أن نفسر نعمة الله بأنها قدرتنا.
أن نستخدم النجاح الذي أعطاه الله لرفع اسمنا.
وبعد عصيانه اهتم شاول بحفظ كرامته أمام الناس أكثر من التوبة الصادقة أمام الله.
هذه هي الصورة الأخيرة للكبرياء: أن نعرف أننا مخطئون أمام الله، ومع ذلك نريد أن نبدو صالحين أمام الناس.

طريق إخلاء الكبرياء يبدأ بالتوبة

يقول أخبار الأيام الثاني 32:26 إن حزقيا تاب عن كبرياء قلبه.
وهنا يوجد الرجاء.
”هدف المؤمن ليس أن يقول: “لقد أصبحت شخصاً لا يتكبر أبداً”
بل أن يصير إنساناً يأتي بكبريائه فور اكتشافه إلى الله.
”يا رب، لقد تكبرت“
”رفعت اسمي“
”طلبت تقدير الناس“
”دنت الآخرين“
”اعتبرت نعمتك قدرتي“
”قدمت الأعذار رغم أنني كنت مخطئاً“
هنا يبدأ الإخلاء.

التواضع هو أن نخفض أنفسنا لكي نمجد الله ونخدم القريب

التواضع ليس احتقار الذات.
بل هو خفض الذات طوعاً لكي نمجد الله ونحب القريب.
اختيار المحبة بدل حقوقي.
البحث عن فرصة للخدمة بدل انتظار التكريم.
رفع اسم الله بدل اسمي.
اختيار سلام الجماعة بدل إثبات أنني على حق.
والفرح عندما يرتفع الآخر.
هذا هو فكر المسيح.

لا يستطيع الكبرياء أن يبقى حيث توجد المحبة

تقول 1 كورنثوس 13:4 إن المحبة لا تحسد ولا تتفاخر ولا تنتفخ.
”الكبرياء يقول: “يجب أن أرتفع”.
”المحبة تقول: “أريد خيرك”.
”الكبرياء يقول: “يجب أن يعترف الناس بي”.
”المحبة تقول: “يكفيني أن يتمجد الله”.
الكبرياء يخفض الآخرين ليرفع نفسه.
أما المحبة فتحفض نفسها لتطلب خير الآخرين.
لذلك فإن عكس الكبرياء ليس احتقار الذات، بل تواضع المسيح.
لقد أخلى يسوع نفسه وأخذ صورة عبد وأطاع إرادة الأب حتى موت الصليب.
لذلك فإن إخلاء الكبرياء يعني إخلاء القلب من الرغبة في أن أكون سيد حياتي والنزول إلى موضع خدمة الآخرين بفكر المسيح.
”الكبرياء يقول باستمرار: “ارفع نفسك”.
”أما الإنجيل فيقول: “ارفع المسيح”.
”الكبرياء يقول: “يجب أن يعرفني الناس”.
أما الإنجيل فيجعلنا نكتفي بأن الله يعرفنا.
ولهذا علينا أن نسأل أنفسنا كل يوم:
”لماذا أقول هذا؟“
”هل أعمل فعلاً لمجد الله أم لحماية كبريائي؟“
”هل أريد تثبيت الحق أم إثبات أنني على حق؟“
”هل أتكلم لأبني الآخر أم لأكشف خطاه وأظهر بري؟“
وكما صلى داود: “اختبرني يا الله واعرف قلبي” (مزمو 139:23)، علينا أن نطلب من الروح القدس أن يبين أعماق قلوبنا.
الكبرياء ليس خطية الأشخاص المتعطرسين فقط، بل يوجد في كل قلب يريد أن يجعل ذاته في المركز.
لذلك فإن إخلاء الكبرياء ليس تغيير الظروف الخارجية، بل إخلاء القلب من الرغبة في أن أكون السيد والاعتراف بأن الله هو سيد حياتي.
مثل هذا الإنسان لا يفتخر عند النجاح.

ولا يلوم الآخرين عند الفشل.
وعندما يُمدح يعطي المجد لله.
وعندما يُوبخ يفحص نفسه أولاً.
وعندما يرى خطأ الآخر يظهر الرحمة بدل الإدانة.
ويبحث عن طريق للخدمة بالمحبة حتى عندما تكلفه الخدمة شيئاً.
وفي النهاية، إخلاء الكبرياء لا يعني إزالة "الأنا"، بل تسليمها بالكامل لله وملء المكان الفارغ بفكر المسيح.
ولهذا نصلي:
يا رب، أخلِ قلبي من الرغبة في إثبات أنني على حق"
أخلِ قلبي من الرغبة في نيل تقدير الناس.
أخلِ قلبي من الرغبة في رفع اسمي.
أخلِ قلبي من الرغبة في الإصرار على حقوقي.
”واملاً المكان الفارغ بتواضع المسيح ومحبهه
، عندما تصبح هذه الصلاة حياتنا، يبدأ الكبرياء بفقدان قوته، وننزل إلى موضع العبد الذي أظهره يسوع ونخدم قريبنا لا بالكلام فقط
بل بالحياة

”مبادئ وإرشادات عملية لإخلاء” الكبرياء

1. عندما تكتشف الكبرياء، ثب فوراً أمام الله.

مثل حزقيا، اعترف بأنك لا تستطيع الانتصار على الكبرياء بقوتك واطلب من الروح القدس أن يكشفه ويقودك إلى التوبة (2 أخبار (الأيام 32:26).

2. كلما نجحت أكثر، أعطِ المجد لله بدلاً من رفع اسمك.

لا تجعل النجاح في العمل أو الخدمة فرصة لرفع قدراتك واسمك. ولا تقم لنفسك نصباً مثل شاول، بل اعترف بأن كل شيء كان بنعمة الله (1 صموئيل 15:12).

3. اقبل بالشكر المكان والرسالة اللذين انتمك الله عليهما.

لا تحتقر موضعك مثل قورح ولا تطلب موضعاً أعلى، بل اقبل خدمتك كنعمة من الله، وتعلم أن تتعلم وتخدم (العدد 9:16).

4. لا تجعل حياتك الإيمانية أساساً للافتخار ببرك الذاتي.

لا تفتخر بتاريخك الإيماني أو معرفتك بالكتاب أو خدمتك، بل اطلب رحمة الله مثل العشار (لوقا 13:18).

5. اختر موضع الخدمة المتواضع بدلاً من موضع الارتفاع والتقدير.

أخدم في الأسرة والكنيسة والعمل حتى في المواضع التي لا يراك فيها أحد (أمثال 16:19).

ولكن علينا ألا ننسى شيئاً مهماً:

لا نستطيع إخلاء الكبرياء بإرادتنا وجهدنا فقط.

حتى فكرة “سأصبح متواضعاً بقوتي” يمكن أن تصبح نوعاً آخر من الكبرياء.

لذلك نحتاج إلى نعمة الله ومعونة الروح القدس.

الإخلاء الحقيقي ليس محاولة قاسية لخفض الذات بقوتنا، بل الاعتراف بضعفنا أمام الله وتسليم أنفسنا لقيادة كلمته وروحه.

لذلك علينا أن نصلي كل يوم:

يا رب، أرني الكبرياء الموجود في داخلي، وقديني إلى التوبة أمام الصليب. ساعدني ألا أعتمد على قوتي، بل أن أطلب معونة

”الروح القدس، وأخل قلبي من الرغبة في أن أكون سيد حياتي

إن إخلاء الكبرياء هو طريق التلمذة الذي نعتمد فيه على نعمة الله، ونطيع هذه النعمة بتواضعنا كل يوم

وعندما يعيننا الروح القدس، نستطيع أن نحيا في الأسرة والكنيسة والعمل لا رافعين أنفسنا، بل

”الفصل الخامس: إخلاء“الطمع

في الفصل السابق تأملنا، من خلال إخلاء ”الكبرياء“، في القلب الذي يريد أن يرفع نفسه فوق الله ويقدم إرادته على إرادة الله، والآن، في الفصل الخامس، سنتأمل في ”الطمع“ الذي، إلى جانب الكبرياء، يستولي على أعماق النفس، ويمنعنا من الاكتفاء بالله، ويدفعنا إلى التشبث المستمر بأشياء العالم.

علينا أن نقف بأمانة أمام كلمة الله، ونواجه حقيقة الطمع الموجود في داخلنا، ونتعلم كيف نخلي قلوبنا منه. سبق للدكتور لي-هي-ديه، الذي كان مديرًا لمركز السرطان في مستشفى عام كبير، أن قارن الخصائص الفسيولوجية للخلايا السرطانية بمبدأ روحي.

فالخلايا الطبيعية تنمو وتموت بحسب نظام محدد، أما الخلايا السرطانية فتستمر في النمو بصورة غير طبيعية، وتستولي على العناصر الغذائية التي تحتاج إليها الخلايا السليمة.

ومن الناحية الروحية تذكرنا هذه الصورة بالطمع الذي يريد المزيد باستمرار، ويدمر في طريقه أشياء أخرى.

يقول يعقوب 1:15:

«ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتًا».

علينا أن ندرك أن الطمع الذي يحذر منه الكتاب يمتلك طبيعة إدمانية لا تستطيع أي كمية من ممتلكات العالم أن تشبعها.

الطمع يمنعنا من الاكتفاء بالنعمة التي أعطاها الله

في العدد 11 نرى بني إسرائيل في البرية وقد عجزوا عن شكر الله على المن السماوي وبدأوا يشتهون اللحم.

تأثروا بالذين كانوا يعيشون بينهم، وبدأت الشهوة تنتقل إلى قلوبهم.

وهكذا تستطيع تيارات العالم أن تنقل الطمع إلى أعماق قلوب المؤمنين.

لم يعودوا مكفين بالمن الذي أعطاهم الله كل يوم، بل بكوا واشتكوا وطالبوا موسى باللحم.

وشوّه الطمع حكمهم حتى بدأوا يشترقون إلى مصر، أرض العبودية.

تذكروا السمك والخيار والبطيخ والكراث والبصل والثوم، وصوروا أيام العبودية وكأنها أيام أفضل.

استجاب الله لطلبهم وأرسل السلوى.

لكن الطمع لم يشبعهم، بل قادهم إلى الدينونة.

وضربهم الرب بالوباء قبل أن ينتهوا من أكل اللحم.

ولذلك سُمي المكان **قبروت هتأوة**، أي ”قبر الشهوة“ (عدد 11:34).

الطمع لا يشبع الإنسان، بل يتحول في النهاية إلى صنم يلتهمه ويدمره.

الطمع يجعلنا نسلب حتى حقوق الآخرين

الأخطر أن الطمع لا يبقى في القلب فقط، بل قد يؤدي حقوق الآخرين وحياتهم.
في 1 ملوك 21 انتهى الملك أخاب كرم نابوت.
رفض نابوت طلبه لأنه أراد طاعة شريعة الله المتعلقة بميراث الآباء.
وعندما رُفضت رغبة أخاب، عاد إلى بيته حزينا و غاضبا، واضطجع على سريرته ورفض الطعام.
إذا غضبنا لأننا لم نحصل على الربح أو الدخل الذي أردناه، فعلينا أن نسال أنفسنا إن كان الطمع قد بدأ يحكمنا.
يحذر يسوع في لوقا 12:15:
«انظروا وتحفظوا من الطمع، فإنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله»
إذا لم نخل قلوبنا من الطمع، فقد يصبح شرارة مأساة تدمر الأسرة

الطمع يهدم الأسرة والجماعة

كان ينبغي لإيزابل أن توقف طمع أخاب، لكنها أيدته و وعدته بالحصول على كرم نابوت.
يقول أمثال 14:1:
«حكمة النساء تبني بيتها، والحماقة تهدمه بيدها»
دبرت إيزابل شهادة زور ضد نابوت، واتهمته زورا بأنه جدف على الله والملك، ثم أخرج خارج المدينة ورجم حتى الموت.
«الطمع لا يتوقف عند مجرد الرغبة في» امتلاك المزيد.
إذا ترك بلا ضبط، فقد ينتهك حقوق الآخرين وكرامتهم وممتلكاتهم، بل وقد يصل إلى سلب حياتهم.
والأمر نفسه ممكن في أماكن عملنا اليوم.
إذا شوهدنا سمعة زميل أمين أو أبعدهنا من أجل زيادة دخلنا أو حماية مصالحنا، فعلينا أن نفحص أنفسنا لنلا يكون طمع أخاب.
وإيزابل قد بدأ يتسلل إلى قلوبنا

الطمع يسلب القناعة وينتج التذمر

يحذر الجامعة 7:7 من أن الطمع يستطيع أن يفسد حتى حكمة الإنسان الحكيم.
والإنسان الذي يسيطر عليه الطمع يصبح سريع الضيق والغضب عندما لا يحصل على ما يريد.
يعلمنا الجامعة 7:8-9 أن الصبر أفضل من الكبرياء، وألا نسرع إلى الغضب.
ومن ينسى الإخلاء الحقيقي يريد إشباع رغباته فورا بدلا من انتظار عمل الله وسيدته بصبر.
كما يحذر الجامعة 7:10 من القول إن الأيام الماضية كانت أفضل من الحاضر.
الإنسان الخاضع للطمع يشتكي دائما:
«لماذا أصبحت ظروفي الآن أسوأ من الماضي؟»
وبدلا من شكر الله على نعمة اليوم في الأسرة والعمل، يعيش مشتتاً إلى مجد الماضي.
لكن مقارنة الممتلكات باستمرار والعيش في حنين إلى الماضي من دون شكر الله على نعمة اليوم ليسا حكمة كتابية

الطمع المتكرر في ثوب الدين

من أبشع صور الطمع وأكثرها مكرًا في الحياة المسيحية أن يبدو الإنسان في الخارج متدينا يخدم الله، بينما يعبد المال في داخله.
يصف لوقا 14:16-15 الفريسيين بأنهم محبون للمال

كانوا يظهرون وكأنهم يحفظون الشريعة بدقة، لكن قلوبهم أحبت المال، وفي الوقت نفسه أرادوا أن يظهروا أبرارًا أمام الناس. واليوم أيضًا يوجد خطر أن نسوي بين النجاح المادي وبركة الله، وأن نبرر الطمع باسم الإيمان. النمو الخارجي للكنيسة أو وفرتها المالية لا يثبتان تلقائيًا نعمة الله. ولا ينبغي أن يحصل الغني أو صاحب المكانة الاجتماعية على سلطة روحية خاصة بسبب ثروته. يجب على الكنيسة أن تقدر الإيمان والشخصية وثمر الخدمة أكثر من المال والنفوذ. "وعلينا أن نفحص أنفسنا لنعرف إن كانت رغبات المال والسلطة تختبئ خلف عبارات مثل "نعمة الله"، و"استجابة الصلاة"، و"نمو الكنيسة".

كون أمر ما قانونيًا لا يعني بالضرورة أنه مستقيم أمام الله. فالله العادل لا ينظر فقط إلى النجاح الخارجي والإجراءات القانونية، بل يفحص القلب والدوافع. ويحذر إشعياء 56:11 القادة الروحيين الذين "لا يعرفون الشبع" ويسعون وراء مكاسبهم الخاصة. إذا انشغل الراعي أو قائد الكنيسة بزيادة ثروته بدلًا من رعاية القطيع الذي انتمى الله عليه، فقد ابتعد عن رسالته. وفي لوقا 11:39 وبخ يسوع الفريسيين لأنهم ينظفون الخارج بينما يمتلئ الداخل بالطمع والشر.

"Harpagē" معنى الطمع في كلمة

harpagē (ἄρπαγή). الكلمة اليونانية المترجمة "طمع" في لوقا 11:39 هي. ولا تشير فقط إلى الرغبة في امتلاك المزيد، بل تحمل أيضًا معنى سلب ما للآخرين أو استغلالهم والاستيلاء على ممتلكاتهم. "إذن فالطمع الذي وبخ يسوع الفريسيين عليه ليس مجرد التفكير: "أريد المزيد". عندما ينمو الطمع، يمكن أن يدفع الإنسان إلى الاعتداء على حقوق الآخرين وممتلكاتهم لمصلحته الخاصة. إذا ظهر الإنسان متدينًا بينما يستخدم الآخرين ويضحي بهم من أجل مصلحته، فهذا هو الطمع الديني الذي حذر منه الرب. ولهذا فالطمع أكثر خطورة على الرعاة وقادة الكنيسة. يمكن للإنسان أن يقول بفمه إنه يحب الله بينما يعتمد في حياته على المال أكثر من الله. وقد يعلن من المنبر: «أحبك يا رب يا قوتي» (مز 18:1)، لكنه في حياته يعتبر المال قوته وأمانه وضمن مستقبله. حينئذ يجب أن يفحص قلبه بأمانة أمام الكلمة. التوبة الحقيقية لا تنتهي باعتراف شفهي. كما قال يوحنا المعمدان: «فاصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة» (مت 3:8). التوبة عن الطمع يجب أن تظهر في رفض الربح الظالم، واستخدام المال بأمانة، ومشاركة ما انتمنا الله عليه مع الآخرين. "يسمى لوقا 16:14 الفريسيين "محبين للمال". ومعناها الحرفي "أناس يحبون المال"، philargyroi (φιλάργυροι) والكلمة اليونانية هي: وهذا يطرح علينا سؤالًا مهمًا: هل أحب الله حقًا؟

أم أنني أقول إنني أؤمن بالله، بينما أعتد عملًا على الأمان والقوة اللذين يمنحهما المال؟. يعلمنا مزمو 119:11، 36-37 أن نوجه قلوبنا نحو كلمة الله لا نحو الطمع. إخلاء الطمع لا يعني فقط امتلاك مال أقل، بل إعادة القلب والنظر إلى الله. ويحذر 1 تيموثاوس 6:10 من أن محبة المال أصل لكل أنواع الشرور. المشكلة ليست المال نفسه، بل محبة المال. عندما نحب المال، يتحول من أداة انتمنا الله عليها إلى سيد يحكم القلب. الطمع يهمس:

”لو امتلكت أكثر قليلاً فسأشبع“

لكن الطمع لا نهاية له

كلما امتلك الإنسان أكثر، أراد أكثر

ولذلك لا يستطيع الإنسان أن يعرف القناعة الحقيقية إن لم يخل قلبه من الطمع

علينا الحذر من الطمع حتى في الوفرة

قد نطلب الله بجدية أكبر عندما نواجه النقص

لكن إيماننا يُمتحن أيضًا في الوفرة

عندما يزداد الدخل وتصبح الحياة مريحة، قد ننسى أن كل شيء نعمة من الله ونبدأ بالاعتماد على قدراتنا وأموالنا

الوفرة في ذاتها ليست خطيئة

والبركات المادية تستحق الشكر

لكن إذا أبعدتنا الوفرة عن الله وأثارت فينا الرغبة في المزيد، فقد تصبح خطرًا على نفوسنا

المال ليس غاية الحياة

إنه أداة انتمنا الله عليها لكي نسد احتياجاتنا، ونعتني بأسرنا، ونحب قريبنا، ونقوم برسالة الإنجيل

وتبدأ المشكلة عندما ينتقل المال من مكان الأداة إلى مكان السيد

المهم ليس مقدار ما نملك، بل لمن ولأي غرض نستخدم ما انتمنا الله عليه

علينا أن نخلي قلوبنا من الطمع ونتعلم القناعة

العالم يقول إننا سنكون سعداء إذا امتلكننا أكثر، وآمنين إذا امتلكننا أكثر من الآخرين، وأن مستقبلنا مضمون إذا جمعنا المزيد

لكن علينا ألا نسلم قلوبنا لهذا الصوت

كما أخلى يسوع نفسه وأطاع حتى الموت، علينا أن نخلي قلوبنا يوميًا من الرغبة في امتلاك المزيد ومن الرغبة في أن نكون أسياد حياتنا

والقلب الذي تم إخلاؤه يجب أن يمتلئ بالمسيح

علينا أن نتعلم القناعة بيسوع المسيح نفسه، لا بالوفرة التي يقدمها العالم

ونتذكر عطية الحياة الأبدية المجانية في المسيح (رو 6:23)، ومحبة الله التي لا يستطيع شيء أن يفصلنا عنها (رو 8:38-39)

إخلاء الطمع لا يعني التخلص من المال أو الابتعاد عن الممتلكات

بل يعني ألا نسمح للمال بأن يصبح سيد قلوبنا، وأن نعترف بأن الله هو سيد حياتنا

الطمع يقول باستمرار

”يجب أن تمتلك أكثر“

أما الإيمان فيعترف

”في المسيح لدي بالفعل ما يكفي“

هذا هو طريق إخلاء الطمع الذي ينبغي أن نمارسه كل يوم في الأسرة والعمل والكنيسة

”مبادئ وإرشادات عملية لإخلاء“الطمع

1. تعلم القناعة بما أعطاك الله.

”يهمس الطمع: “لو امتلكت أكثر قليلاً فسأشبع
لكن كثرة الممتلكات لا تعني بالضرورة زيادة القناعة
لا تسمح لكمية ما تملك أن تحدد رضاك
تذكر النعمة التي أعطاه الله بالفعل وتعلم القناعة الحقيقية في يسوع المسيح
”بدلاً من التفكير أولاً: “ما عندي لا يكفي”، فكر: “كم من النعمة أعطاني الله بالفعل
القناعة لا تعني ألا نرغب في أي شيء، بل أن نشكر الله على ما سمح لنا به وألا نسمح للرغبة في المزيد بأن تحكمنا

2. مارس المشاركة والعطاء بدلاً من التثبث.

الطمع يغلق اليد، أما المحبة فتفتحها
لا تستخدم ما انتمنك الله عليه لمتعتك فقط، بل استخدمه لرعاية أسرتك، ومحبة قريبك، ومساعدة المحتاج
العشور والعطاء ومساعدة المحتاجين يمكن أن تكون تدريبات روحية في هذا الطريق
إننا لا نشارك لأن المال شر في ذاته، بل لأننا نرفض أن يصبح سيد قلوبنا

3. افحص رغباتك يومياً أمام الكلمة.

اسأل نفسك:
”لماذا أريد المزيد من هذا؟“
”هل أحتاج إليه حقاً أم أريد فقط أن أملك أكثر من غيري؟“
”هل هذا استخدام حكيم لما ائتمني الله عليه أم مجرد إشباع لرغبتني؟“
تدرب على التمييز بين الحاجة والرغبة
انتظر قبل شراء ما ترغب فيه
قلل النفقات غير الضرورية
اخفض توقعات نمط حياتك قليلاً
واستخدم بشكر ما لديك بالفعل
هذه تدريبات عملية لإخلاء الطمع

4. اختر الأمانة في كل ما يتعلق بالمال.

لا تتخل عن الأمانة من أجل ربح أكبر
لا تسلب نصيب الآخرين

لا تحصل على الربح بطرق ظالمة.

أدر دخلك ونفقاتك بأمانة، واعمل واكسب بطريقة لا تخجل منها أمام الله.

وفي الكنيسة والخدمة أيضًا، لا تستخدم عمل الله وسيلة لمصلحتك أو كرامتك.

يظهر التوبة من الطمع في رفض الربح الظالم، والعمل بأمانة، واحترام حقوق الآخرين.

تذكر النعمة التي نلتها بالفعل واشكر الله 5.

الطمع ينظر إلى ما ليس لدينا.

أما الشكر فينظر إلى النعمة التي نلناها بالفعل.

عندما تصبح الظروف المالية صعبة، تذكر نعمة الله حتى اليوم.

وعندما يتحسن دخلك، لا تعتبره نتيجة قدرتك وحدك، بل تذكر نعمة الله.

في الأسرة، بدلًا من المقارنة مع الآخرين، اشكر الله على ما أعطاه لأسرتك.

وفي العمل، بدلًا من التذمر بسبب منصب شخص آخر أو دخله، اقبل بشكر العمل والفرصة اللذين انتمنك الله عليهما.

ومع ذلك، لا نستطيع إخلاء الطمع بإرادتنا وجهدنا فقط.

حتى فكرة “سأنتصر على الطمع بقوتي” قد تصبح شكلاً آخر من البر الذاتي.

لذلك نحتاج إلى نعمة الله ومعونة الروح القدس.

لكن هذا لا يعني ألا نفعل شيئاً.

عندما يكشف الروح القدس الطمع من خلال الكلمة، علينا الاعتراف والتوبة.

علينا فتح اليد المغلقة.

ورفض الربح الظالم.

ومشاركة ما لدينا.

والتدرب عملياً على الشكر والقناعة.

نعمة الله لا تجعلنا سلبيين، بل تقودنا إلى الطاعة الطوعية.

لذلك فإن إخلاء الطمع ليس تغيير أنفسنا بقوتنا، بل مسيرة تلمذة نعتمد فيها على نعمة الله ونطيع يومياً قيادة الروح القدس.

يمكننا أن نصلي:

يا رب، أرني الطمع الموجود في داخلي وقدني إلى التوبة. لا تسمح للرغبة في امتلاك المزيد أن تحكم قلبي، وأخل قلبي من الرغبة في أن أكون سيد حياتي. علمني أن أشكر على النعمة التي أعطيتني وأن أعيش بالقناعة. ساعدني أن أستخدم بأمانة المال الذي انتمننتي عليه وأن أشاركه بسرور. أيها الروح القدس، ساعدني أن أحب الله أكثر من المال وأن أعتمد على الرب **”أكثر من الممتلكات”**.

إن تسليم أفكارنا ومشاعرنا وإرادتنا لله وطاعة قيادة الروح القدس هو الطريق العملي لإخلاء الطمع.

إخلاء الطمع لا يعني ببساطة الابتعاد عن المال أو امتلاك القليل.

بل يعني إعادة المكان الذي احتله المال في القلب إلى الله.

والاعتراف بأنني لست المالك المطلق للثروة، بل وكيل يدير ما انتمنني الله عليه.

هدف الإخلاء ليس أن نصبح أشخاصاً فارغين.

بل أن نخلي القلب من الرغبة في المزيد ونملأ ذلك المكان بالمسيح.

أن نكتفي بالمسيح، ونستخدم بشكر ما انتمننا الله عليه، ونشارك المحتاجين، ونقدمه بسرور من أجل رسالة ملكوت الله.

الطمع يقول باستمرار:

”يجب أن تمتلك أكثر”

أما الإيمان فيعترف:

”في المسيح لدي بالفعل ما يكفي”

هذا هو طريق إخلاء الطمع الذي ينبغي أن نمارسه كل يوم في الأسرة والكنيسة والعمل.

«الفصل السادس: إخلاء» الرياء

رأينا فيما سبق كيف ينبغي لنا أن نخلي ذواتنا من الكبرياء الذي يدفع الإنسان إلى رفع نفسه فوق الله، ومن الطمع الذي لا يكتفي بالله.

«بل يطلب باستمرار أن يمتلك المزيد. والآن تنتقل إلى خطية عميقة أخرى، هي «الرياء» الرياء هو الرغبة في أن نظهر أمام الناس بصورة تختلف عن حقيقتنا. فهو أن نحمل في داخلنا أفكارًا ومشاعر معينة، بينما نتصرف في الخارج وكأننا لا نحملها، وأن نهتم بتقييم الناس لنا أكثر من اهتمامنا بنظر الله إلينا، فنزّل إيماننا بحسب ما نريد أن يراه الآخرون.

لذلك فإن إخلاء الذات من الرياء لا يبدأ بمحاولة الظهور أمام الناس كمسيحيين أفضل. بل يبدأ بأن ننظر إلى حقيقتنا أمام الله بكل صدق، من دون أن نخفي شيئًا.

قد نستطيع أن نخدع الناس. وقد نستطيع، إلى حد ما، أن نتحكم في الصورة التي يراها الآخرون عنا. لكن لا ينفع أي قناع أمام الله. لأن الله لا يرى فقط ما يظهر للناس، بل يعرف أيضًا أفكار القلب ودوافعه.

لذلك فإن أول سؤال ينبغي أن نطرحه لكي نخلي ذواتنا من الرياء ليس

«كيف يراني الناس؟»

بل:

«كيف يراني الله الآن؟»

إن الوقوف بصدق أمام هذا السؤال هو بداية إخلاء الذات من الرياء.

لا تستخدموا كلمة الله أداة لتحقيق رغباتكم

نرى في الأناجيل أن يسوع ويخبر رباب الفريسيين بشدة

كانوا يعرفون كلمة الله جيدًا، وكانوا مجتهدين في حفظ الشريعة. لكن المشكلة كانت أن معرفة الكلمة وطاعتها قد انفصلتا عن بعضهما.

في لوقا 16:18 يتحدث يسوع عن الطلاق. وكان بين القادة الدينيين في ذلك الوقت من يستخدمون ما ورد في تثنية 24 عن كتاب الطلاق بما يتناسب مع رغباتهم الخاصة.

فبدلاً من أن يقبلوا كلمة الله لكي يخلوا ذواتهم من رغباتهم ويطيعوا الله، استخدموها أساساً لتبرير ما كانوا يريدونه.

وهذه صورة من صور الرياء.

قد نقول في الظاهر: «الكتاب المقدس يقول هكذا»، بينما نستخدم الكلمة في الحقيقة أداة لحماية رغباتنا ومصالحنا.

وبدلاً من أن نخضع أنفسنا لكلمة الله، نحاول أن نخضع كلمة الله لأفكارنا.

ونحن اليوم لسنا بمنأى عن هذا الخطر.

من الضروري أن نهتم بالعقيدة والتقاليد والقواعد داخل الكنيسة. ولكن لا يجوز أن نستخدمها أدوات لحماية مواقفنا ومصالحنا، أو لإدانة الذين يختلفون معنا في الرأي بلا روية.

ينبغي لكلمة الله أن تسلط نورها عليّ أنا أولاً.

وقبل أن أوجهها نحو الآخرين، ينبغي أن أسمح لها بأن تتجه إلى قلبي أنا.

وقبل أن أستخدم الكلمة للبحث عن أخطاء الآخرين، ينبغي أن أسأل نفسي أولاً عما يجب عليّ أن أتوب عنه أمام تلك الكلمة.

إن معرفة الكثير من كلمة الله لا تحمينا تلقائياً من الرياء.

بل إذا عرفنا الكثير من الكتاب المقدس ولم نسمح لهذه الكلمة بأن تكشف حقيقتنا، فقد تتحول المعرفة الكتابية نفسها إلى قناع يخفي رياءنا.

بذلك ينبغي أن نسأل أنفسنا باستمرار:

«هل أسعى إلى طاعة كلمة الله، أم أستخدم كلمة الله لتبرير أفكارى؟»

الرياء يشبه قناعاً يخفي حقيقتنا

كانت تُستخدم في الكلمة اليونانية المستخدمة في العهد الجديد للدلالة على «المرائي»، وهي

الأصل للإشارة إلى الممثل الذي يؤدي دور شخص آخر على المسرح.

فالممثل لا يعرض على المسرح شخصيته الحقيقية، بل يقدم الشخصية التي كُلف بأدائها.

وتساعدنا هذه الصورة على فهم الرياء.

فالإيمان المرائي هو محاولة إظهار صورة أمام الناس تختلف عن حقيقتنا.

قد يكون في قلوبنا بغض، ومع ذلك نتصرف كأننا أشخاص مملوون بالمحبة.

وقد لا نكون قد غفرنا حقاً، ومع ذلك نتحدث وكأننا قد غفرنا.

وقد نعتمد على المال والمكانة أكثر من اعتمادنا على الله، ومع ذلك نحاول أن نظهر كأننا لا نعتمد إلا على الله.

قد نتكلم بكلمات تقوية في الكنيسة، بينما نعامل أفراد أسرتنا في البيت بلا احترام أو اهتمام.

وقد نتحدث من المنبر عن الغفران، بينما نحمل في قلوبنا ضغينة قديمة.

وقد نتحدث بلطف أمام شخص ما، ثم نتكلم عنه بالسوء من وراء ظهره.

وقد نهني شخصاً في الظاهر على نجاحه، بينما نتمنى في داخلنا أن يفشل.

وهنا يكمن خطر الرياء:

إن الشخص الذي أكونه أمام الناس والشخص الذي أكونه أمام الله يبتعدان تدريجياً أحدهما عن الآخر.

شبه يسوع الفريسيين بالقبور المبيضة. فهي تبدو جميلة من الخارج، ولكنها من الداخل مملوءة بعظام الموتى والنجاسة.

لم تكن المشكلة التي أشار إليها الرب هي تنظيف الخارج في حد ذاته، بل كانت المشكلة أنهم نظفوا الخارج وتركوا الداخل كما هو.

الإيمان ليس تزيين الصورة التي نظهر بها أمام الناس.

بل هو أن ننظر بصدق إلى حقيقة قلوبنا أمام الله، وأن نتوب عن الخطية الموجودة فيها، وأن نستمر في التغير بنعمة المسيح.

الرياء لا يخدع الآخرين فقط، بل يجعلنا نخدع أنفسنا أيضاً

يُظهر لنا يهوذا الإسخريوطي إلى أي عمق يمكن أن يصل الرياء.

فقد كان قد عزم في قلبه بالفعل على تسليم يسوع.

ومع ذلك، عندما قال يسوع إن واحداً من تلاميذه سيسلمه، سأل يهوذا مع بقية التلاميذ:

«هل أنا هو يا معلم؟» (متى 26:25)

كان قد قرر الخيانة في قلبه، ومع ذلك تصرف في الظاهر كتلميذ لا يعرف شيئاً.
قد يبدأ الرياء بخداع الآخرين.
لكن عندما يعيش الإنسان طويلاً مرتدياً قناعاً، فإنه في النهاية يبدأ بخداع نفسه أيضاً.
ويبدأ في الاعتقاد بأن الصورة التي يعرضها أمام الناس هي حقيقته بالفعل.
فإذا ظل الناس في الكنيسة لسنوات طويلة ينظرون إلينا بوصفنا أشخاصاً أمناء، فقد نبدأ بالاعتقاد أن تقييمهم لنا هو نفسه حقيقة إيماننا.
وقد يظن الراعي، لأنه يجيد الوعظ ويحظى بتقدير كثيرين، أن نفسه الروحية لا بد أن تكون سليمة أيضاً.
وقد يظن أحد خدام الكنيسة أنه، بسبب خدمته الطويلة، لم يعد لديه الكثير مما يحتاج إلى التوبة عنه.
لكن تقييم الناس لا يمكن أن يكون المعيار النهائي لحالتنا الروحية.

المهم هو من أكون أمام الله.

ما أفكر فيه عندما لا يراني أحد، وكيف أعامل أسرتي، وكيف أستخدم المال، وبأي قلب أنظر إلى نجاح الآخرين وفشلهم، وهل أتوب عندما تتكشف أخطائي أم أبحث عن الأعذار—كل هذه الأمور تكشف حقيقتنا.
لذلك لا ينبغي أن ينتهي إخلاء الذات من الرياء بمجرد تحسين الصورة التي نظهرها أمام الآخرين.
بل ينبغي أن نصل إلى مواجهة حقيقتنا بصدق أمام الله.
الله لا يرى أعمالنا فقط، بل يرى دوافعنا أيضاً
قال يسوع في لوقا 12:2:
«فليس مكتوم لن يُستعلن، ولا خفي لن يُعرف»
يمكننا أن نخفي قلوبنا عن الآخرين.
ويمكننا أن نخفي الرغبات الكامنة وراء الأعمال الصالحة.
لكننا لا نستطيع أن نخفيها عن الله.
«ويقول الرسول بولس أيضاً في 1 كورنثوس 4:5 إن الرب «سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب».
فإنه لا ينظر فقط إلى ما فعلناه، بل أيضاً إلى سبب قيامنا به.
قد نكون قد ساعدنا شخصاً، لكن رغبنا في الحصول على التقدير ربما كانت أقوى من رغبنا في مساعدته.
وقد نكون قد خدمنا الكنيسة باجتهاد، بينما كانت تختبئ في داخلنا رغبة في الحفاظ على موقعنا.
وقد نكون قد قلنا كلاماً صحيحاً، لكن دافعنا ربما لم يكن استعادة الشخص الآخر، بل الانتصار عليه.
لذلك فإن إخلاء الذات من الرياء ليس مجرد إصلاح للسلوك.
بل هو فحص دوافع القلب المختبئة وراء أعمالنا أمام الله.
:علينا أحياناً أن نسأل أنفسنا:
«ما السبب الحقيقي الذي يجعلني أفعل هذا؟»
«هل أفعل هذا لإرضاء الله أم لكي أحصل على تقدير الناس؟»
«هل أتكلم لكي أساعد هذا الشخص على الاسترداد، أم لكي أثبت أنني على حق؟»
«هل أفعل هذا من أجل الجماعة، أم من أجل حماية موقعي وسمعتي؟»
إن الوقوف بصدق أمام هذه الأسئلة تدريب مهم في طريق إخلاء الذات من الرياء.

ينبغي أن أرى الرياء الذي في داخلي قبل أن أرى رياء الآخرين

عندما نقرأ كلمة الله عن الرياء، هناك أمر ينبغي أن نحذر منه بشدة.

فقد نفكر في الفريسيين، ثم يتبادر إلى أذهاننا شخص آخر:

«ذلك الشخص يشبه الفريسيين تمامًا»

«ذلك الراعي مراة»

«ذلك الشخص يقول شيئاً ويفعل شيئاً آخر»

لكن كلام يسوع عن الرياء لم يُعط لنا أولاً لكي ندين الآخرين

بل هو كلمة ينبغي أن تسلط نورها علينا نحن أولاً

قال يسوع في متى 7:5

«يا مراي، أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك»

فالمرائي شديد الحساسية تجاه القذى في عين الآخر، لكنه بطيء في رؤية الخشبة في عينه هو

يرى أخطاء الآخرين كبيرة، بينما يرى أخطاءه صغيرة

ويطالب الآخرين بمعايير عالية، بينما يسمح لنفسه بأسباب واستثناءات كثيرة

لذلك فإن الخطوة الأولى لإخلاء الذات من الرياء ليست البحث عن رياء الآخرين، بل الاعتراف بالرياء الموجود في داخلي

«يا رب، لقد حكمت على الآخرين ولم أر الخطية التي في داخلي»

«يا رب، طبقت كلمتك على الآخرين، لكنني لم أطبقها على نفسي»

«يا رب، حاولت أن أبدو أمام الناس أكثر تقوى مما أنا عليه في الحقيقة لكي أحصل على تقديرهم»

ينبغي أن نستطيع الاعتراف بحقيقتنا بصدق أمام الله

وقبل أن تصبح كلمة الله سيفاً نطعن به الآخرين، ينبغي أن تصبح أولاً مرآة تكشف حقيقتنا

أن نطلب من الآخرين ما لا نمارسه نحن هو رياء

صورة أخرى من الرياء الفريسي هي أن نطالب الآخرين بأن يعيشوا بحسب كلمة الله بينما نحن أنفسنا لا نمارس ما نطالبهم به

نحن لا نحب، ومع ذلك نقول للآخرين: أحبوا

ونحن لا نغفر، ومع ذلك نقول لهم: اغفروا

ونحن لا نخدم، ومع ذلك نطالب الآخرين بالخدمة

ولا نخلي ذواتنا من طمعنا، ومع ذلك ندين طمع الآخرين

ويمكن لهذا الرياء أن يظهر بسهولة داخل الأسرة أيضاً

قد يطلب الوالدان من أولادهما قراءة الكتاب المقدس بينما هما نفسيهما لا يقتربان من كلمة الله

وقد يعلمان أولادهما الصدق، بينما يرفضان الاعتراف بأخطائهما

وقد يطلبان من أولادهما الاعتذار، بينما يرفضان بحجة سلطتهما الأبوية

وبشكل خاص، قد يظن الأب بسهولة أن الاعتراف بخطئه سيهدم سلطته

ولهذا قد يرتدي قناع التسلط ليخفي ضعفه وأخطائه

لكن عندما يخطئ الأب، فإن قدرته على القول أمام زوجته وأولاده

«أنا آسف. لقد أخطأ أبوكم. وقد قصرت أيضاً أمام الرب»

لا تعني أنه فقد سلطته

بل يمكن للأبناء أن يتعلموا الإنجيل من أب يعرف كيف يتوب أكثر مما يتعلمونه من أب يتظاهر بالكمال

المهم ليس أن نظهر لأبنائنا والدين لا يسقطان أبداً

بل المهم أن يروا أنه عندما نسقط نعترف بخطئنا، ونعتمد على نعمة الله، ثم نقوم من جديد

والأمر نفسه ينطبق على الكنيسة.

لا يحتاج الرعاة والقادة إلى التصرف كأنهم يعرفون كل شيء وأنهم دائماً على حق.

فعندما يكون حكمهم خاطئاً، ينبغي أن يعترفوا بذلك.

وعندما يجرحون شخصاً، ينبغي أن يعتذروا.

وينبغي أن يعترفوا بأنهم هم أيضاً أشخاص يحتاجون باستمرار إلى أن تتغير حياتهم أمام كلمة الله.

إخلاء الذات من الرياء لا يعني أن نصبح أشخاصاً كاملين

بل يعني أن نخلي ذواتنا من الرغبة في الظهور وكأننا كاملون.

لا ينبغي للإيمان الذي يهدف إلى الظهور أمام الناس أن يتحول إلى مسرحية دينية.

ومن الأسباب الأخرى التي جعلت يسوع يوبخ الفريسيين أنهم ركزوا بصورة مفرطة على الإيمان الذي يراه الناس.

الإيمان ليس مسرحاً نعرض عليه أنفسنا أمام الآخرين.

لا ينبغي أن يصبح مركز إيماننا هو مقدار ما يراه الناس فينا من التقوى، أو مدى اعتبارهم لنا رعاة ممتازين، أو مقدار تقديرهم لنا كخدام مكرسين.

إن الحصول على تقدير الناس ليس خطأ في ذاته.

والسمعة الحسنة أمر يستحق الشكر.

ولكن في اللحظة التي يصبح فيها تقييم الناس أهم من صدقنا أمام الله، يمكن أن يبدأ الرياء.

في عصرنا أصبحت لدينا فرص أكثر لإظهار أنفسنا أمام الآخرين.

فليس في الكنيسة فقط، بل من خلال وسائل متعددة أيضاً، يمكننا بسهولة أن نعرف الناس بخدثنا وأعمالنا الصالحة وأفكارنا.

وهذا في حد ذاته ليس خطأ.

ولكن كلما زادت هذه الفرص، ازدادت حاجتنا إلى فحص دوافع قلوبنا.

«هل أمجد الله، أم أحاول أن أظهر نفسي؟»

هذا السؤال ليس للحكم على الآخرين، بل ينبغي أن أطرحه على نفسي أولاً.

إن علاقتي بالله في المكان الذي لا يراني فيه أحد أهم من الخدمة التي يراها الناس.

ما أكونه عندما لا يراني أحد هو أيضاً حقيقتي أمام الله

لكي نخلي ذواتنا من الرياء، ينبغي أن نؤمن الوقت الذي نقضيه مع الله على انفراد.

نحتاج إلى صلاة لا تهدف إلى إظهار تقوانا أمام الناس، بل نفتح فيها قلوبنا الحقيقية أمام الله.

وبدلاً من الاكتفاء بالتأكد من أننا أدينا واجب قراءة الكتاب المقدس، ينبغي أن نسمح لله بأن يبين قلوبنا بكلمته.

الله معنا حتى في المكان الذي لا يرانا فيه أحد.

ولهذا فإن الإيمان في الخفاء مهم.

إذا قلنا في الكنيسة إننا نحب الله، بينما لا نقترّب في البيت من كلمته إطلاقاً، فعلياً أن نراجع إيماننا.

وإذا شدد الوالدان أمام أولادهما على العبادة والكلمة بينما يهملان علاقتهما الشخصية بالله، فسيرى الأبناء الفجوة بين كلام والديهم وحياتهما.

أما إذا كان الوالدان غير كاملين، لكنهما يحبان كلمة الله، ويتوبان عندما يخطئان، ويعتمدان على الله لكي يقوموا من جديد، فسيتعلم

الأبناء الإيمان لا من الكلام فقط بل من الحياة أيضاً.

والأمر نفسه ينطبق على مكان العمل.

لا ينبغي أن نكون أمناء فقط عندما يرانا الناس، بل ينبغي أن نكون أمناء أيضاً عندما لا يرانا أحد.

ولا ينبغي أن نعمل باجتهاد فقط عندما يكون المسؤول حاضرًا، بل علينا أن نؤدي مسؤولياتنا بأمانة لأننا نؤمن أن العمل قد انتمنا الله عليه.
كلما صغرت الفجوة بين شخصيتي أمام الناس وشخصيتي عندما لا يراني أحد، أصبح إيماننا أكثر صدقًا.

لا تستخدموا كلمة الله أداة للحكم على الآخرين

إن معرفة الكثير من الكتاب المقدس ودراسة اللاهوت أمران ثمينان.
لكن المعرفة الكتابية لا تجعلنا بالضرورة متواضعين.
بل إذا طبقنا الكلمة على الآخرين فقط، فقد جعلنا تلك المعرفة متكبرين.
قد نستمع إلى عظة ونفكر:
«إكم يحتاج ذلك الشخص إلى سماع هذه العظة»
لكن السؤال الذي ينبغي أن نطرحه أولاً هو:
«يا رب، ماذا تقول لي أنا اليوم من خلال هذه الكلمة؟»
إن تمييز خطأ شخص آخر يختلف عن إدانته.
هناك أوقات يجب فيها أن نقول عن الخطأ إنه خطأ.
وهناك أوقات نحتاج فيها إلى النصح والتوبيخ من أجل حماية الجماعة.
ولكن حتى في تلك الأوقات، ينبغي أن نفحص قلوبنا أولاً.
هل أريد استعادة هذا الشخص، أم أريد الانتصار عليه؟
هل أقول الحق، أم أستخدم الحق لأفرغ غضبي؟
هل أسعى إلى بناء الجماعة، أم إلى حماية موقعي؟
ينبغي لكلمة الله أن تكون أولاً الكلمة التي نغيرني قبل أن تصبح سلاحاً أهاجم به الآخرين.

إخلاء الذات من الرياء يبدأ أمام الصليب

فكيف نستطيع إذن أن نخلي ذاتنا من الرياء؟
في النهاية، ينبغي أن نأتي إلى الصليب.
أمام الصليب لا نحتاج إلى تزيين أنفسنا لكي نبدو أبراراً.
لم نخلص لأننا كنا أكثر تقوى من الآخرين، ولا لأننا كنا أشخاصاً بلا أخطاء.
نحن جميعاً خطاة نحتاج إلى نعمة المسيح.
وإذا كنا نؤمن بهذه الحقيقة حقاً، تقل حاجتنا إلى ارتداء الأقنعة لإخفاء ضعفنا.
عندما نخطئ، نستطيع أن نعترف.
وعندما نرتكب خطية، نستطيع أن نتوب.
وعندما نجرح شخصاً، نستطيع أن نعتذر.
وعندما يكشف الروح القدس، من خلال الكلمة، الرياء الموجود في داخلنا، فلا نخفه ولا نبحت عن الأعداء.
قولوا:

«يا رب، هذه هي حقيقتي»

ثم احملوا هذه الخطية إلى الصليب.
إن إخلاء الذات من الرياء لا يعني أن نجعل أنفسنا أشخاصاً أفضل وأكثر إثارة لإعجاب الآخرين.
بل يعني أن نخلي ذاتنا من الرغبة في الظهور كأننا أبرار، وأن نتمسك ببر المسيح ونعمته.

تقول رسالة يعقوب 3:17

وأما الحكمة التي من فوق فهي أولاً طاهرة، ثم مسالمة، مترفقة، مدعنة، مملوءة رحمة وأثماراً صالحة، عديمة الريب»
«والرياء

إن ما يريده الله ليس شخصاً جرى تزيين ظاهره فقط

بل يريد إنساناً، رغم ما فيه من نقص، يعترف بصدق بحقيقته أمام الله، ويتوب، ويستمر في التغير داخل نعمة المسيح

إن إخلاء الذات من الرياء لا يعني أن نصبح أشخاصاً بلا عيوب، بل أن ننزع القناع الذي يجعلنا نحاول الظهور وكأننا بلا عيوب

وهو أن يصبح الشخص الذي أكونه أمام الناس والشخص الذي أكونه أمام الله، مع مرور الوقت، شخصاً واحداً صادقاً

«مبادئ وإرشادات عملية لإخلاء الذات من «الرياء»

فكيف يمكننا إذن أن نستمر في إخلاء ذاتنا من الرياء في الأسرة والكنيسة ومكان العمل؟
الرياء ليس خطية تختفي تمامًا بمجرد اتخاذ قرار واحد. فنحن نستمر في اختبار الاهتمام بتقييم الناس لنا والرغبة في أن يظهر
بصورة حسنة أمامهم.
لذلك ينبغي أن نطلب معونة الروح القدس، وأن نفحص قلوبنا كل يوم أمام كلمة الله
ويمكننا أن نتدرب عمليًا على الأمور الخمسة التالية في حياتنا اليومية.

1. عيشوا أمام الله أكثر من اهتمامكم بنظرات الناس.

يقول لوقا 12:2

«فليس مكتوم لن يُستعلن، ولا خفي لن يُعرف»

ينمو الرياء بسهولة عندما نهتم بنظرات الناس أكثر من اهتمامنا بالله.
وعندما ننتشغل أكثر من اللازم بكيف يرانا الآخرون، نبدأ بتزيين صورتنا لكي نبدو أفضل مما نحن عليه في الحقيقة.
لذلك، حتى عندما نقومون بعمل صالح، أو تخدمون في خدمة كنسية، أو تخدمون شخصًا آخر، افحصوا قلوبكم
«هل كنت سأفعل هذا العمل حتى لو لم يعرف الناس أنني فعلته؟»

يساعدنا هذا السؤال على فحص دوافعنا.
تعلموا أن تؤمنوا بأن معرفة الله تكفي، حتى إن لم يعرف الناس ما فعلتم.
واجعلوا إرضاء الله أهم من تصفيق الناس.

2. افحصوا الدوافع المختبئة وراء أقوالكم وأعمالكم.

قد يكون العمل واحدًا، لكن الدوافع مختلفة.

قد نساعد شخصًا ونحن نرغب في الحصول على التقدير. وقد نقول كلامًا صحيحًا ونحن نريد الانتصار على الطرف الآخر.

وقد نخدم الكنيسة ونحن نريد الحفاظ على موقعنا.

لذلك ينبغي أن نسأل أنفسنا كثيرًا:

«لماذا أقول هذا الآن؟»

«ما الهدف الحقيقي من قيامي بهذا العمل؟»

«هل هذا من أجل الله، أم لكي أظهر نفسي؟»

لا نستطيع أن نعرف جميع دوافعنا معرفة كاملة.

ولهذا السبب بالذات نحتاج أكثر إلى أن نطلب من الروح القدس أن يفحص قلوبنا من خلال الكلمة.

قبل أن تحكموا على الآخرين، افحصوا قلوبكم أولاً.

وقبل أن تطبقوا الكلمة على الآخرين، طبقوها أولاً على أنفسكم.

3. اعترفوا بصدق بالفجوة بين كلامكم وحياتكم.

ينمو الرياء عندما نحاول أن نظهر كأننا نعيش بالفعل إيمانًا لم ننجح بعد في أن نعيشه في الواقع.

لذلك لا تحاولوا أن تظهروا كأنكم أكثر روحانية مما أنتم عليه في الحقيقة.

«إذا كنتم لا تعرفون شيئًا، ينبغي أن تكونوا قادرين على القول: «لا أعرف»

«وإذا أخطأتم، ينبغي أن تكونوا قادرين على الاعتراف: «لقد أخطأت»

وإذا كانت هناك جوانب في حياتكم لم تتغير بعد، فينبغي أن تعترفوا بها بصدق أمام الله.

وهذا مهم بصورة خاصة داخل الأسرة.

ما ينبغي للوالدين أن يظهراه لأبنائهما ليس الكمال، بل صورة الإنسان الذي يعرف كيف يتوب عندما يخطئ.

فإذا أخطأ الأب، ينبغي أن يستطيع أن يقول لزوجته وأولاده:

«أنا آسف. لقد أخطأ أبوكم»

والأمر نفسه ينطبق على الرعاة والقادة.

فبدلاً من إخفاء أخطائهم من أجل حماية سلطتهم، ينبغي أن يستطيعوا الاعتراف بخطئهم والاعتذار.

الاعتذار لا يهدم السلطة الروحية، بل ينزع قناع الرياء.

4. ثمنوا علاقتكم بالله في المكان الذي لا يراكم فيه أحد.

ثمنوا الإيمان الذي تعيشونه عندما تكونون وحدكم مع الله أكثر من الإيمان الذي تعرضونه أمام الناس.

لا تجعلوا الصلاة وسيلة للظهور بمظهر التقوى أمام الآخرين

ولا تقرأوا الكتاب المقدس لمجرد الشعور بالرضا لأنكم أدبتم واجباً دينياً، بل اقرأوه لكي تلتقوا بالله من خلال كلمته وتفحصوا قلوبكم.

وفي الأسرة، ينبغي للوالدين أنفسهم أن يعيشوا أولاً حياة قريبة من كلمة الله وحياة صلاة

لا تطلبوا من الأبناء وحدهم أن يعيشوا حياة الإيمان، بل دعوهم يرون والديهم يطلبان الله أولاً

وفي مكان العمل أيضاً، لا تجعلوا شخصيتكم عندما يراكم الناس مختلفة عن شخصيتكم عندما لا يراكم أحد

فحتى عندما لا يراكم أحد، الله يراكم

إن تقليل المسافة بين الشخص الذي أكونه أمام الناس والشخص الذي أكونه أمام الله هو طريق إخلاء الذات من الرياء

5. استمعوا بتواضع إلى نصيحة الأشخاص الجديرين بالثقة.

هناك أوقات لا نستطيع فيها أن نرى رياءنا بأنفسنا

ولهذا نحتاج إلى شركاء في الإيمان يحبوننا، وفي الوقت نفسه يستطيعون أن يقولوا لنا ما نحتاج إلى سماعه

عندما يشير أحد إلى خطأ في حياتنا، فلا ندافع عن أنفسنا فوراً

ليس من الضروري أن نقبل كل نقد بلا تمييز، لكن ينبغي أولاً أن نفحصه أمام الله

«هل هناك شيء يريد الله أن يريني إياه من خلال هذه الكلمات؟»

اجعلوا الحق أهم من حفظ ماء الوجه

وقبل أن تبحثوا عن القذى في عين الآخر، افحصوا الخشبة في أعينكم

وإذا اكتشفتم خطأكم، فلا تبحثوا عن الأعذار، بل توبوا

عندما نستطيع داخل الجماعة أن ننصح بعضنا بعضاً بالمحبة، وأن نتلقى النصيحة بتواضع، يبدأ الرياء بفقدان المكان الذي يستطيع أن يقف فيه

لكن لا ينبغي أن نحاول تحقيق هذه الأمور الخمسة بجهودنا وحدها

فإخلاء الذات من الرياء يحتاج أيضاً إلى نعمة الله ومعونة الروح القدس

لا نستطيع بقوتنا الذاتية أن نطهر تماماً جميع الدوافع المختبئة في أعماق قلوبنا

بل في اللحظة التي نفكر فيها

«أنا الآن لم أعد مرئياً»

قد نسقط في نوع آخر من البر الذاتي

لذلك ينبغي أن نطلب من الروح القدس أن ينيّر قلوبنا بكلمة الله

وعلىنا أن نعتزف بالخطية التي يكشفها ذلك النور، وأن نتوب عنها، وأن نعتد على نعمة الصليب

:ويمكننا أن نصلّي هكذا:

يا رب، ساعدني أن أرى، لا الصورة التي أريد أن أظهرها للناس، بل حقيقتي كما تراها أنت. أرني الرياء والبر الذاتي»
المختبئين في داخلي، ولا تسمح لي بأن أخفيهما أو أبحث عن أعذار لهما. أخلّ قلبي من الرغبة في الحصول على تقدير
الناس ومديحهم، وساعدني أن أعيش لإرضائك أنت وحدك. اجعل كلامي وحياتي واحدًا، واجعلني إنسانًا صادقًا يستطيع أن
«يعترف بخطئه ويتوب ويعتذر عندما يخطئ. أيها الروح القدس، أنر قلبي كل يوم واملأني بقلب المسيح الصادق

.إن إخلاء الذات من الرياء لا يعني أن نكشف كل نقاط ضعفنا وفشلنا أمام جميع الناس

.كما أنه لا يعني أن نتكلم بكل أفكارنا بلا أي تمييز

.جوهر إخلاء الذات من الرياء هو أن نقلل المسافة بين الشخص الذي يراه الناس وبين حقيقتنا أمام الله

وهو أن يصبح كلامنا وحياتنا شيئًا واحدًا بصورة متزايدة، وأن يصبح الشخص الذي نكونه أمام الناس والشخص الذي نكونه
عندما لا يرانا أحد واحدًا، وأنا عندما نخطئ لا نختبئ وراء قناع، بل نتوب بصدق أمام الله

.إن غاية الإخلاء ليست أن نصبح أشخاصًا فارغين

.بل أن نخلي القلب الذي كان ممتلئًا بالرغبة في تقدير الناس، والبر الذاتي، والتظاهر، وأن نملأ ذلك المكان بفكر المسيح

:يقول الرياء

«أريد أن يراني الناس بهذه الصورة»

:أما الإيمان فيعترف

«أريد أن أعيش بصدق أمام الله»

.لذلك فإن الإنسان الذي يخلي ذاته من الرياء لا يسعى جاهدًا لكي يبدو إنسانًا كاملاً

.إنه يعترف بضعفه، لكنه لا يبقى في مكانه، بل يستمر في التغيير يومًا بعد يوم معتمدًا على نعمة الصليب

ويهتم بنظرة الله أكثر من تصفيق الناس، ويختار الحق بدلًا من حماية صورته أمام الآخرين، ويفحص قلبه أولاً قبل أن يشير
إلى أخطاء غيره

.وفي الأسرة والكنيسة ومكان العمل، يصبح كلامه وحياته أكثر انسجامًا واتحادًا يومًا بعد يوم

.هذا هو طريق «إخلاء الذات من الرياء» الذي ينبغي لنا أن نسلكه كل يوم

«الفصل السابع: إفراغ القلب من «الكذب»

تأملنا في الفصل السابق في «الرياء»، الذي ينشأ من الفجوة بين الصورة التي نظهر بها أمام الناس وحقيقتنا الفعلية أمام الله. فإذا كان الرياء هو ارتداء قناع لإخفاء حقيقتنا، فإن الكذب هو إخفاء الحقيقة أو تغييرها من أجل مصلحتنا، بل وقد يصل إلى تشويه حق الله نفسه.

ولا يقتصر الكذب على مجرد قول شيء يخالف الواقع. بل يبدأ من قلب يرفض الحق ويقبل ما يخدم مصلحته على أنه هو الحقيقة. وقد قال يسوع عن إبليس في يوحنا 8:44 إنه «كذاب وأبو الكذاب». ففي أصل الكذب توجد قوة تدفع الإنسان إلى تصديق شيء آخر غير كلمة الله، وتقوده في النهاية إلى الابتعاد عن الله.

لذلك، قبل أن نبحث عن الكذب في الآخرين، ينبغي لنا أولاً أن نسأل أنفسنا:

«هل أعيش بصدق أمام الله؟»

«هل أخفي الحقائق أو أغيرها من أجل حماية مصلحتي وسمعتي؟»

«هل أقبل كلمة الله كما هي، أم أقبل فقط ما أريد أن أسمع؟»

إن إفراغ القلب من الكذب يبدأ بأن نفحص أنفسنا بصدق أمام هذه الأسئلة.

الكذب يمنعنا من معرفة الله

يرينا إرميا 9:3-6 حال يهوذا حين امتلأت بالكذب.

كان الناس يستخدمون ألسنتهم لإطلاق الأكاذيب كما يُشد القوس لإطلاق السهم. كانوا يخدعون بعضهم بعضاً ولا يتكلمون بالحق. لكن المشكلة الأخطر من ذلك كانت أنهم، وهم يعيشون بهذه الطريقة، رفضوا أن يعرفوا الله.

فالكذب لا يهدم الثقة بين الناس فقط، بل يهدم أيضاً علاقتنا بالله.

إذا كنا نقول بأفواهنا إننا نؤمن بالله، بينما نعتبر الكذب والخداع أمراً طبيعياً في حياتنا، فنحن، مع أننا نقول إننا نتكل على الله، نعتمد في الواقع على طرق العالم أكثر من اعتمادنا عليه.

ويصف مزمور 62:4 أناساً يباركون بأفواههم، بينما يلعنون في داخلهم.

فما تقوله أفواههم لا يتفق مع ما في قلوبهم.

ومن السهل علينا أن نستخف بالأكاذيب الصغيرة في حياتنا اليومية.

فقد نغير بعض الحقائق قليلاً لكي نخفي أخطاءنا، أو نحذف جزءاً مهماً من القصة لكي نهرب من المسؤولية، أو نلقي باللوم على شخص آخر لكي نحمي سمعتنا.

ولكن عندما نسمح بهذه الأكاذيب الصغيرة مراراً وتكراراً، يبدأ ضميرنا بالتبذل.

في البداية نشعر بعدم الارتياح، ولكن إذا كررنا ذلك، فقد نصل إلى مرحلة كذب فيها من دون أن نشعر بشيء.

لذلك، فإن إفراغ القلب من الكذب لا يعني فقط الامتناع عن الأكاذيب الكبيرة بل يعني أن نتعلم أن نحب الحق أمام الله، وأن نختار الحق حتى عندما يكلفنا ذلك خسارة شخصية.

الكلام الكاذب يُبعد الناس عن الله

من أشد أنواع الكذب التي يحذر منها الكتاب المقدس أن يتكلم الإنسان بالكذب باسم الله. في أيام إرميا كان هناك أنبياء كذبة يدّعون أنهم تسلموا كلمة الله، بينما كانوا في الحقيقة يعلنون كلاماً لم يعطهم الله إياه. وفي إرميا 13:6-15 نرى أن الشعب كان غارقاً في الطمع، وأن القادة كانوا يمارسون الخداع: ومع ذلك كانوا يعالجون جرح الشعب باستخفاف قائلين: «سلام، سلام». مع أنه لم يكن هناك سلام. وهنا تكمن خطورة الكلام الكاذب. فأن نقول للناس ما يريدون سماعه لا يعني بالضرورة أننا نحبهم. إذا كانت علاقة إنسان بالله تنهار بسبب الخطية، ثم قلنا له إنه لا توجد أية مشكلة، فلا يمكن أن يكون هذا تعزية تمنحه الحياة. التعزية الحقيقية لا تغطي الخطية، بل تفقد الخاطئ إلى المسيح. والمحبة الحقيقية لا تقدم سلاماً كاذباً لمن يحتاج إلى التوبة، بل تساعد على رؤية حالته أمام كلمة الله والرجوع إلى الله.

لا ينبغي لنا أن نتكلم باسم الله إذا لم يرسلنا الله

عندما كان إرميا يوبخ الأنبياء الكذبة، كان يشير مراراً إلى مشكلة واحدة: كانوا يقولون إنهم مرسلون، مع أن الله لم يرسلهم. وفي إرميا 28:15 قال إرميا لحننيا: «الرب لم يرسلك، وأنت قد جعلت هذا الشعب يتكل على الكذب». وتظهر المشكلة نفسها مراراً في إرميا 14 و23 و27: لم يكن الله قد تكلم، لكنهم كانوا يقولون: «قال الله». وكانوا يقدمون أفكارهم وأحلامهم ورغباتهم الخاصة كما لو كانت كلمة الله. وهذه خطية ينبغي للراعي، على وجه الخصوص، أن يخاف منها خوفاً عظيماً. ليس للراعي الحق في أن يحول أفكاره الخاصة إلى كلمة الله. ولا ينبغي له أن يعلن أن آراءه السياسية، أو رغباته الشخصية، أو توقعاته للنجاح، أو خبراته الخاصة هي إرادة الله. فالواعظ ليس شخصاً يصنع الكلمة، بل شخص أو تومن على الكلمة. لذلك ينبغي للواعظ أن يسأل نفسه باستمرار: «هل هذا حقاً ما يقوله النص الكتابي؟» «هل أخلط بين ما قاله الله وما أريد أنا أن أقوله؟» «هل أقول ما يريد المؤمنون سماعه، أم أعلن بأمانة الكلمة التي أعطاها الله؟» وكلما أكثر الإنسان من استخدام اسم الله على المنبر، وجب عليه أن يقف أمام هذه الأسئلة بمخافة أعظم. الكلام الذي يسرّ الأذان ليس دائماً كلاماً صالحاً.

يحذرننا 2 تيموثاوس 4:3 من أنه سيأتي وقت لا يحتمل فيه الناس التعليم الصحيح، بل يجمعون لأنفسهم معلمين بحسب شهواتهم لأن أذانهم تريد أن تسمع ما يرضيها.

وهنا نرى مشكلتين في الوقت نفسه.

الأولى هي مشكلة القادة الذين يقولون فقط ما يريد الناس سماعه.

والثانية هي مشكلة المستمعين الذين يبحثون فقط عن الرسائل التي يريدون سماعها.

وعندما تلتقي هاتان المشكلتان، تزداد قوة التعليم الكاذب.

فالواعظ يريد تصفيق الناس، والمستمعون يريدون عظة تؤكد رغباتهم.

وفي النهاية يعطي كل طرف للآخر ما يريد أن يسمعه.

لكن كلمة الله ليست دائماً كلاماً مريحاً لأذاننا.

أحياناً تعزينا.

وأحياناً توبخنا.

وأحياناً تكشف خطايانا.

وأحياناً تأمرنا بأن نرجع عن الطريق الذي نسير فيه.

وهي تقودنا دائماً إلى يسوع المسيح.

لذلك فإن معيار الوعظ الحقيقي ليس:

«هل أحب سماع هذا الكلام؟»

بل ينبغي أن نسأل:

«هل هذه الكلمة نابغة من الكتاب المقدس؟»

«هل تقودني هذه الكلمة إلى المسيح؟»

«هل تجعلني هذه الكلمة أفحص نفسي وأتوب وأطيع؟»

أعلن ميخا كلمة الله التي أعطيت له، لا الكلام الذي أراد الناس سماعه.

تسجل لنا 1 ملوك 22 حادثة تُظهر بوضوح الفرق بين الكلام الكاذب والكلام الحقيقي.

عندما كان الملك أخاب يستعد للذهاب إلى الحرب ضد راموت جلعاد، قال له كثير من الأنبياء ما كان يريد سماعه.

قالوا له إنه إذا ذهب إلى الحرب فسوف ينتصر.

لكن ميخا كان مختلفاً.

طلب الناس من ميخا أن يقول كلاماً حسناً مثل بقية الأنبياء.

لكنه قال:

«ما يقوله الرب لي، به أتكلم».

تكشف هذه العبارة وحدها الموقف الذي ينبغي أن يتحلى به الخادم الحقيقي للكلمة.

فالواعظ ليس شخصاً يصنع الكلام الذي تريد الجماعة سماعه.

وليس شخصاً يقول ما يُرضي الملك.

وليس شخصاً يخفف كلمة الله أو يغيرها لكي يحافظ على شعبيته.

بل هو شخص يعلن ما قاله الله.

ولم تكن الكلمة التي أعلنها ميخا هي ما أراد الملك سماعه.

ونتيجة لذلك أبغضوه وتألم.

لكنه لم يغير كلمة الله بسبب ردود أفعال الناس.

إن الخادم الحقيقي للكلمة يخشى كلمة الله أكثر مما يرغب في تصفيق الناس.

الوعظ الحقيقي يقود الناس إلى التوبة وإلى المسيح

كيف يمكننا إذن أن نميز بين الراعي الحقيقي والراعي الكاذب؟
لا نستطيع أن نحكم بمجرد أن الشخص يجيد الوعظ، أو أن كثيرين يجتمعون حوله، أو أنه مشهور، أو أن رسائله مؤثرة.
يمكننا أن نفحص، في ضوء الكتاب المقدس، ثلاثة أمور على الأقل.
أولاً، ينبغي أن ننظر هل يعلن الكلمة التي ائتمنه الله عليها.
فبدلاً من تقديم أفكاره الخاصة على أنها كلمة الله، ينبغي له أن يعلن بأمانة ما يقوله الكتاب المقدس فعلاً.
ثانياً، ينبغي أن نفحص هل توجد في الرسالة مادة حقيقية من كلمة الله.
كان الأنبياء الكذبة في أيام إرميا يقدمون أحلامهم وأفكارهم الخاصة على أنها كلمة الله.
أما الكلمة الحقيقية فلا تنبع من خيال الإنسان، بل تتجذر في كلمة الله.
ثالثاً، ينبغي أن نفحص هل يقود الوعظ الناس إلى التوبة والطاعة.
فالوعظ الحقيقي لا ينتهي بمجرد إدانة الناس.
بل يساعدهم على إدراك خطيتهم، ويقودهم إلى الصليب، ويساعدهم على التمسك بنعمة المسيح والسير نحو حياة جديدة.
وعندما يحتاج الإنسان إلى التعزية، ينبغي أن يُعزى.
فسحق الإنسان المجروح أكثر ليس وعظاً حقيقياً.
لكن عدم الحديث عن التوبة حيث تكون التوبة ضرورية ليس محبة أيضاً.
الراعي الحقيقي ليس من يجعل الخراف تتبعه هو، بل من يساعد الخراف على اتباع المسيح.

ينبغي للمؤمنين أيضاً أن يميزوا الكلام الذي يسمعون

لا ينبغي لنا أن نضع كل مسؤولية التعليم الكاذب على الراعي وحده.
فللمؤمنين أيضاً مسؤولية تمييز الكلام الذي يسمعون.
لا ينبغي لنا أن نقبل كلام شخص ما بلا فحص على أنه كلمة الله لمجرد أنه مشهور.
فمنصب الراعي، أو مستواه الأكاديمي، أو حجم كنيسته، لا يجعل كل ما يقوله حقاً بصورة تلقائية.
عندما نستمع إلى عظة، ينبغي لنا أن نفتح الكتاب المقدس ونفحص:
«هل هذا حقاً ما يعلمه الكتاب المقدس؟»
«هل يتم شرح معنى النص بطريقة صحيحة؟»
«هل هذا يتفق مع إنجيل يسوع المسيح؟»
احترام الراعي شيء، وجعل الراعي سلطة مطلقة شيء آخر.
فالراعي الحقيقي، بدلاً من أن يرغب في أن يعتمد المؤمنون عليه، ينبغي أن يساعدهم على قراءة الكلمة بأنفسهم، والصلاة، وطلب.
إرشاد الروح القدس، واتباع المسيح.
إن موضوع إيماننا النهائي ليس إنساناً، بل الله.
الكذب يمكن أن يهدم حياة إنسان آخر
يتعامل الكتاب المقدس مع شهادة الزور بمنتهى الجدية.
فالوصية التاسعة من الوصايا العشر واضحة:
«لا تشهد على قريبك شهادة زور».
الكذب ليس مجرد مشكلة تتعلق بالكلمات.
فهو قادر على تدمير سمعة الإنسان وعائلته وعمله، بل وحياته كلها.

في 1 ملوك 21 أقامت إيزابل شهود زور لكي تستولي على كرم نابوت وجعلتهم يشهدون زوراً بأن نابوت جَدَفَ على الله والملك، وفي النهاية قُتِل نابوت البريء فالطمع أنتج الكذب، والكذب أودى بحياة إنسان. لذلك عندما نسمع شيئاً عن شخص آخر، ينبغي ألا نتسرع في الحكم عليه. يعلمنا الكتاب المقدس ألا نثبت أمراً خطيراً بناءً على شهادة شخص واحد فقط، بل أن نتحقق من الحقائق بواسطة شهادة كافية (تثنية 19:15). وينطبق الأمر نفسه في الكنيسة. فمجرد سماع شيء سلبي عن شخص ما لا يعني أنه ينبغي لنا أن نفترض فوراً أنه صحيح أو أن ننشره للآخرين. يجب أولاً التحقق من الحقائق. ولا ينبغي لنا أن ندين شخصاً بعد سماع جانب واحد فقط من القصة. وعلى القادة بصورة خاصة أن يكونوا أكثر حذراً. فإذا صدقوا كلاماً لم يتم التحقق منه وحكموا على أساسه، فقد يسببون لشخص جروحاً يصعب جداً إصلاحها. إن من يحب الحق ليس هو الذي يسرع في نشر الإشاعات، بل الذي يتحقق من الحقائق بعناية.

الكذب لا يستطيع أن يمحو الحق

بعد قيامة يسوع، أعطى رؤساء الكهنة والشيوخ مآلاً للجنود لكي ينشروا كذبة: «جاء تلاميذه ليلاً وسرقوه ونحن نيام». لقد صنعوا كذبة بالمال لكي يحموا مكانتهم وسمعتهم. لكن تلك الكذبة لم تستطع أن تمحو حقيقة القيامة. قد يحاول الناس إخفاء الحقيقة. وقد يستخدمون المال والسلطة لتثويهِ الوقائع. لكنهم لا يستطيعون أن يمحوا الحق الذي صنعه الله. وهذه الحقيقة تقدم أيضاً تعزية مهمة لمن يعانون ظمناً بسبب الكذب. ليس كل حق ينكشف في الوقت الذي نريده. وقد نظل أحياناً موضع سوء فهم لمدة طويلة. لكن المؤمن لا ينبغي أن يحاول هزيمة الكذب بكذبة أخرى. بل عليه أن يتكلم بالحق، ويقوم بمسؤولياته، ويسلم الديونة النهائية لله. فالطريق إلى الانتصار على الكذب ليس كذبة أكثر دهاءاً، بل الحق.

ينبغي أيضاً أن نحذر من إضافة شيء إلى الإنجيل

في رسالة غلاطية، يحذر بولس بشدة من التعليم الكاذب الذي كان يحاول إضافة استحقاق الإنسان إلى إنجيل المسيح. فالخلاص لا يُنال بأعمالنا ولا باستحقاقنا. بل نقبل بالإيمان نعمة الخلاص التي أتمها يسوع المسيح على الصليب. لذلك، إذا أضفنا استحقاق الإنسان إلى الإنجيل وعلمنا أنه شرط للخلاص، فإننا نحجب جوهر الإنجيل. وفي 2 كورنثوس 2:17 يقول بولس أيضاً إنه لا يفسد كلمة الله. فلا ينبغي لنا أن نستخدم كلمة الله لمصلحتنا.

بالنسبة للراعي، ليست الكلمة أداة لتحقيق النجاح

.وليس منتجاً لتنمية الكنيسة

.وليس وسيلة لكسب قلوب الناس

.الكلمة هي لله

.لذلك ينبغي لمن أوّمن عليها أن يعلنها بنقاوة، من دون أن يخلطها برغباته الخاصة

إفراغ القلب من الكذب هو أن نفحص أنفسنا بصدق أمام الحق

.عندما نقرأ ما يقوله الكتاب المقدس عن الكذب، ينبغي ألا ننتهي فقط إلى البحث عن الرعاة الكذبة أو المؤمنين الكاذبين

.بل يجب أن نعود إلى أنفسنا

:على الراعي أن يسأل نفسه

«هل أقول عن شيء إنه إرادة الله مع أن الله لم يقله؟»

«هل أغير الكلمة من أجل نمو الكنيسة أو من أجل سمعتي؟»

«هل أتجنب رسالة يجب أن أعلنها لمجرد أن الناس لا يريدون سماعها؟»

:وعلى المؤمن أيضاً أن يسأل نفسه

«هل أبحث فقط عن الرسائل التي أريد سماعها؟»

«هل أحب الكلام الذي يعزيني، بينما أرفض الكلام الذي يوبخني؟»

«هل أثق بالواعظ الذي يقول لي ما أريد سماعه أكثر من ثقتي بكلمة الله؟»

:وفي البيت ومكان العمل ينبغي لنا أيضاً أن نسأل

«هل أغير الحقائق لكي أخفي خطئي؟»

«هل أفسر وعداً بطريقة مختلفة من أجل مصلحتي؟»

«هل ألقى باللوم على شخص آخر بسبب خطأ ارتكبته أنا؟»

.إن إفراغ القلب من الكذب ليس حركة لكشف أكاذيب الآخرين

.بل هو أولاً أن أكشف الكذب الموجود في داخلي أمام كلمة الله وأفرغ قلبي منه

الإيمان الخالي من الزيف يأتي حتى بشكوكه بصدق أمام الله

.يتحدث بولس في 2 تيموثاوس 1:5 عن «الإيمان العديم الرياء» الذي كان في تيموثاوس

.والإيمان الخالي من الزيف لا يعني إيماناً لا يتزعزع أبداً

.ولا يعني أن الإيمان الحقيقي لا يوجد إلا عند من لا يشعرون بالخوف أو الشك

.بل الإيمان الخالي من الزيف هو الإيمان الذي يأتي حتى بضعفه بصدق أمام الله

:فإذا كنا نعاني في الإيمان، فلا حاجة إلى أن نقول

،«أنا لا أخاف إطلاقاً»

.لمجرد أن نظهر أمام الآخرين وكأن إيماننا قوي

.إذا كنا نتألم، يمكننا أن نقول إننا نتألم

.وإذا كنا خائفين، يمكننا أن نعترف بأننا خائفون

.وإذا راودتنا الشكوك، يمكننا أن نأتي حتى بهذه الشكوك إلى الله

.وعندئذ، في ذلك المكان نفسه، نستطيع أن نتمسك من جديد بوعود الله

.وإيمان إبراهيم أيضاً لم يكن ثقة بقدرته الذاتية

.يقول رومية 4:21 إنه كان موقناً أن الله قادر أيضاً أن يفعل ما وعد به

:الإيمان الحقيقي ليس ثقة بالنفس نقول

«أنا أستطيع».

بل هو ثقة بالله تقول:

«أنا لا أستطيع، لكن الله أمين».

لذلك، فالإيمان الخالي من الزيف ليس إيمانًا يحاول أن يبدو قويًا، بل إيمان يعترف بضعفه، ومع ذلك يتمسك بأمانة الله.

«مبادئ وإرشادات عملية لإفراغ القلب من «الكذب»

كيف يمكننا إذن أن نفرغ قلوبنا من الكذب في البيت والكنيسة ومكان العمل؟
غالبًا لا يبدأ الكذب فجأة بكذبة كبيرة، بل يجد مكانًا في قلوبنا من خلال تكرار تنازلات صغيرة.
لذلك نحتاج كل يوم إلى أن نفحص أنفسنا أمام كلمة الله، وأن نتدرب على اختيار الحق حتى في الأمور الصغيرة.
ويمكننا أن نمارس المبادئ الخمسة التالية في حياتنا اليومية.

1. اجعلوا كلمة الله معيار الحق.

أفكاري ومشاعري ليست دائمًا صحيحة.
وحتى الشيء الذي أرغب فيه بشدة قد يكون مختلفًا عن إرادة الله.
لذلك لا ينبغي لي أن أضع أفكاري فوق كلمة الله، بل تحت كلمة الله.
وعلى الرعاة بصورة خاصة أن يحذروا من أن يصفوا أفكارهم الخاصة بسهولة بأنها إرادة الله.
فعند الوعظ ينبغي لهم أولاً أن يفحصوا ما يقوله النص الكتابي فعلاً، وألا يفرضوا أفكارهم الخاصة على الكتاب المقدس.
وكذلك لا ينبغي للمؤمنين أن يقبلوا شيئاً بلا فحص لمجرد أن شخصاً مشهوراً قاله، بل عليهم أن يعتادوا فحصه في ضوء الكتاب المقدس.
إن جعل كلمة الله، لا كلام البشر، معياراً للحق هو الخطوة الأولى في إفراغ القلب من الكذب.

2. قولوا الحقائق كما هي حتى في الأمور الصغيرة.

يبدأ الكذب بتنازلات صغيرة.
قد نحذف عمدًا الجزء الذي لا يخدم مصلحتنا، أو نغيّر القصة قليلاً لكي نقلل من مسؤوليتنا، أو نبالغ في الحقائق لكي نترك انطباعاً جيداً لدى الآخرين.
لكن الإنسان الصادق لا يغير الحقائق حتى عندما تكون في غير صالحه.
في البيت، عندما تخطئون، لا تبحثوا عن الأعذار.
ينبغي أن تكونوا قادرين على القول:
«أنا أخطأت».
وفي مكان العمل، لا تلقوا باللوم على شخص آخر لكي تخفوا خطاكم.

وفي الأعمال التجارية، لا تغيروا تفسير العقود أو الوعود بما يخدم مصالحكم.
اختراروا الصدق حتى عندما يؤدي ذلك إلى خسارة.

تحققوا من الحقائق قبل نقل كلام يتعلق بشخص آخر. 3.

ليست الخطيئة فقط أن نصنع كذبة بأنفسنا.
فنقل أمر لم نتحقق منه كما لو كان حقيقة قد يسبب أيضاً ضرراً كبيراً لشخص آخر.
إذا سمعتم شيئاً سلبياً عن شخص ما، فلا تنقلوه فوراً إلى الآخرين.
اسألوا أولاً:
«هل هذا صحيح؟»
«هل تحققت منه بنفسك؟»
«هل من الضروري فعلاً أن أنقل هذا الكلام؟»
وفي جماعة الكنيسة بصورة خاصة، قد تضر الإشاعة بإيمان شخص وعائلته وسمعته ضرراً بالغاً.
إذا كنتم تحبون الحق، فتتحققوا قبل أن تتكلموا.
وإذا لم تستطيعوا التحقق من الأمر، فلا تؤكده بلا مسؤولية كما لو كان حقيقة.

حافظوا على الصدق والشفافية في مكان العمل والأعمال التجارية. 4.

من أكثر المجالات العملية التي ينبغي أن نفرغ فيها قلوبنا من الكذب مجال العمل الذي يتعامل مع المال والربح.
فلا ينبغي أن نغير معنى العقد لكي نحصل على ربح أكبر قليلاً، ولا أن نخفي الحقائق المهمة، ولا أن نستغل جهل الطرف الآخر.
لكي نحقق ربحاً غير عادل.
أوفوا بما وعدتم به.
اعترفوا بما أخطأتم فيه.
وتحملوا المسؤولية التي تقع عليكم.
قد يبدو لنا أحياناً أن الصدق يسبب لنا خسارة فورية.
لكن بالنسبة للمؤمن، الأمانة أمام الله أهم من النجاح.
لا تتخلوا عن الحق من أجل الربح.
وعندما يتطلب التمسك بالحق التخلي عن ربح، فاتكوا على الله.

عندما ينكشف خطوكم، اختراروا التوبة بدلاً من الأعذار. 5.

ينتج الكذب كذبة أخرى لكي يخفي الخطأ.
في البداية قد نكذب لإخفاء خطأ صغير، لكن بعد ذلك نحتاج إلى كذبة أخرى لحماية الكذبة الأولى.
لذلك، عندما ينكشف خطوكم، لا تضيفوا كذبة أخرى في محاولة لحماية أنفسكم.
اعترفوا بالخطأ.
اعترفوا.
وإذا كان من الضروري تصحيح الأمر، فصحوه.

وتوبوا أمام الله.

الاعتراف بالخطأ ليس عاراً.

بل إن معرفة أننا أخطأنا ثم إخفاء الخطأ حتى النهاية ومحاولة حماية أنفسنا بالكذب تقود نفوسنا إلى عبودية أعمق.

إن القدرة على التوبة نعمة.

لكن ينبغي ألا ننظر أننا نستطيع إزالة كل الكذب من قلوبنا بمجرد ممارسة هذه المبادئ الخمسة.

فنحن بحاجة إلى نعمة الله وإلى معونة الروح القدس.

فالكذب لا يكتفي بخداع الآخرين، بل قد يخدعنا نحن أيضاً.

قد نخلط بين رغباتنا وإرادة الله، وقد نعتقد أن أفكارنا الخاصة هي الحق.

لذلك ينبغي لنا كل يوم أن نطلب من الروح القدس أن ينيّر قلوبنا من خلال كلمة الله.

يمكننا أن نصلي هكذا:

يا رب، أرني الكذب الذي في داخلي. لا تسمح لي أن أخفي الحقيقة أو أغيرها من أجل حماية مصلحتي أو حفظ ماء وجهي. لا»

تسمح لي أن أبحث فقط عن الرسائل التي أريد سماعها، بل ساعدني أن أقف بصدق أمام كلمتك. لا تسمح لي أن أدعي أن

أفكاري هي إرادتك، وبصفتي شخصاً أوّثمت على كلمتك، ساعدني أن أعلن كلمتك بأمانة واستقامة. في البيت والكنيسة ومكان

العمل، ساعدني أن أختار الحق حتى عندما يكلفني ذلك خسارة؛ وعندما أخطئ، ساعدني أن أعترف بخطئي وأتوب بدلاً من أن

«أبحث عن الأعذار. أفرغ قلبي من الكذب واملاهُ بحق المسيح.

إن إفراغ القلب من الكذب لا يعني مجرد الحذر في كلامنا.

بل يعني التخلي عن حياة أصنع فيها «الحقيقة» التي تناسبني، وأن أضع نفسي تحت حق الله.

ويعني ألا أغير الحقائق من أجل مصلحتي، وألا أغير كلمة الله من أجل تصفيق الناس، وألا أضحي بشخص آخر لكي أخفي

خطئي.

لا ينبغي للراعي أن يجعل كلامه هو كلمة الله.

ولا ينبغي للمؤمن أن يضع كلام البشر فوق كلمة الله.

في البيت، ينبغي أن نختار الصدق بدلاً من الأعذار.

وفي مكان العمل، ينبغي أن نختار الحق بدلاً من الربح.

وفي الكنيسة، ينبغي أن نتحقق من الحقائق بدلاً من اتباع الإشاعات.

وعندما نخطئ، ينبغي ألا نحتمي أنفسنا بالكذب، بل أن نتوب أمام الصليب.

إن هدف الإفراغ ليس أن نصبح أشخاصاً فارغين لا شيء في داخلهم.

بل أن نفرغ المكان الذي كان الكذب يحتله في قلوبنا، وأن نملأ ذلك المكان بيسوع المسيح، الذي هو الحق.

قال يسوع:

«أنا هو الطريق والحق والحياة».

«لذلك فإن الهدف النهائي من إفراغ القلب من الكذب ليس مجرد أن نصبح «أشخاصاً لا يكذبون».

بل أن نصبح أشخاصاً يحبون المسيح، الذي هو الحق، ويعيشون بصدق في كلمته.

الكذب يغيّر الحقيقة لكي يحمي نفسه،

أما الإيمان فيسلم نفسه لله ويختار الحق.

الكذب يخاف من ردود أفعال الناس،

أما الإيمان الصادق فيهتم بنظرة الله أكثر.

الكذب يخفي الخطأ،

أما الإنجيل فيقودنا إلى الاعتراف بخطيتنا والتمسك بنعمة الصليب.

لذلك ينبغي لنا أن نسأل أنفسنا كل يوم:

«هل أتكلم بالحق الآن؟»

«هل أقبل كلمة الله كما هي؟»

«هل أحب الحق أكثر من مصلحتي الشخصية؟»

وكلما اكتشفنا كذبًا في داخلنا، ينبغي ألا نخفيه، بل أن نأتي به إلى الصليب.

أن نفرغ قلوبنا من الأكاذيب واحدة تلو الأخرى، وأن نملاً مكانها بحق المسيح — هذا هو طريق «إفراغ القلب من الكذب» الذي ينبغي لنا أن نسلكه كل يوم في البيت والكنيسة ومكان العمل.

«الفصل الثامن: إفراغ القلب من الكراهية»

تأملنا في الفصل السابق في كيفية إفراغ قلوبنا من «الكذب»، الذي يخفي الحقيقة أو يغيّرها من أجل مصلحتنا. والآن، في الفصل «الثامن»، سنتأمل في خطية أخرى تهدم قلوبنا وعلاقتنا بعمق، وهي «الكراهية».

نتعرض في حياتنا للجراح. فقد نتعرض للخيانة من أشخاص قريبين منا، أو للظلم، أو نشعر أننا لم نل المحبة. وأحيانًا تثير كلمات شخص أو أفعاله غضبًا عميقًا في داخلنا.

إن التعرض للجرح ليس خطية في حد ذاته. والشعور بالألم والغضب عند التعرض للظلم قد يكون رد فعل طبيعيًا. لكن المشكلة هي كيفية تعاملنا مع ذلك الجرح والغضب.

إذا وصلنا التمسك بالجرح وكرهنا الشخص الآخر، وتمنينا له الشر، ونمينا رغبة في أن نجعله يعاني بقدر ما عانينا، فستبدأ الكراهية. في وقت ما بالسيطرة على قلوبنا.

تقول 1 يوحنا 3:15 إن «كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس». وحتى إن لم نقتل إنسانًا بالفعل، فإن كنا في قلوبنا ندينه ونلعنه باستمرار ونتمنى له المصيبة، فإن الله لا يستخف بهذا القلب.

لذلك فإن إفراغ القلب من الكراهية لا يعني إجبار أنفسنا على التخلص من المشاعر، بل أن نأتي بجراحنا وغضبنا إلى الله ونفرغها أمامه حتى لا تصبح سيده على قلوبنا.

قايين وهابيل: مأساة الإنسان الذي لم يفرغ قلبه من الكراهية

من أول الأحداث الكتابية التي تكشف النتائج المرعبة للكراهية قصة قايين وهابيل في تكوين 4.

قدم كل من قايين وهابيل قربانًا لله. فقبل الله هابيل وقربانه، لكنه لم يقبل قايين وقربانه. فغضب قايين جدًا وتغير وجهه.

كان الله يعرف قلب قايين، وحذره بأن الخطية رابضة عند الباب، وأنها تشتاق إليه، لكنه ينبغي أن يتسلط عليها.

لكن قايين لم يقبل تحذير الله.

فبدلاً من أن يفحص قلبه، نظر إلى هابيل. وبدلاً من أن يعالج مشكلته أمام الله، وجّه غضبه إلى أخيه الأصغر.

وفي النهاية أدت الكراهية التي نمت في قلبه إلى القتل.

وهنا نكتشف صفة مهمة للكراهية.

فهي لا تكتمل فجأة في يوم واحد.

قد تبدأ بجرح أو استياء صغير. وإذا تراكم الاستياء مدة طويلة، يتحول إلى مرارة. وإذا احتفظنا بالمرارة، تتحول إلى غضب، وإذا

لم نفرغ الغضب فقد يتصلب ويصبح كراهية.

وفي النهاية تبدأ الكراهية بالسيطرة على كلماتنا وأفعالنا.

لذلك ينبغي معالجة الكراهية وهي صغيرة.

عندما يظهر الاستياء والغضب في القلب، لا ينبغي أن نهمله قائلين: «إنه أمر بسيط»، بل نفحصه أمام الله.

قد لا نستطيع دائماً منع بذرة الكراهية من دخول القلب، لكن لا ينبغي أن نسمح لها بأن تتجذر وتنمو.

الكراهية تنمو لتصبح رغبة في الانتقام

في تكوين 27، بعد أن نال يعقوب بركة أبيه إسحاق، عزم عيسو في قلبه على قتل أخيه الأصغر.

تحول الجرح إلى كراهية، ثم تطورت الكراهية إلى رغبة في الانتقام.

وعندما نُجرح، قد تراودنا أفكار مشابهة:

«أريد أن أرد له بالمثل».

«أتمنى أن يعاني بقدر ما عانيت».

«سأجعله يوماً يدفع الثمن».

لكن علينا حينئذ أن نتذكر حقيقة مهمة:

أنا لست الديان الأخير.

يمكنني أن أقول عن الخطأ إنه خطأ. وقد يكون من الضروري مساءلة الشخص. وإذا كان هناك عنف أو جريمة، فقد تكون الحماية

المناسبة والإجراءات القانونية ضرورية.

الغفران لا يعني التخلي عن العدالة.

لكن لا ينبغي لي أن أحتفظ لنفسني بسلطة إصدار الحكم النهائي على الآخر والانتقام منه.

تعلّمنا رومية 12:19 أن نترك الانتقام لله.

إفراغ الكراهية لا يعني اعتبار الخطأ كأنه لم يحدث، بل إفراغ الرغبة في أن أصبح أنا القاضي الذي يجب أن ينتقم، وتسليم الأمر

لعدالة الله.

المقارنة والغيرة قد تنموان إلى كراهية

نرى أيضًا نمو الكراهية في حياة الملك شاول.
بعد أن هزم داود جليات وعاد، غنى الناس لداود بطريقة رفعت شأنه فوق شاول.
احتفظ شاول بهذه الكلمات في قلبه، وتغيرت نظرته إلى داود.
تحولت المقارنة إلى غيرة، والغيرة إلى كراهية، وأخيرًا حاول شاول قتل داود.
قد نشعر بعدم الراحة عندما يحصل شخص آخر على تقدير أكثر منا
عندما يبدو أن أبناء شخص آخر أكثر نجاحًا من أبنائنا، أو تنمو كنيسة راعٍ آخر أكثر من كنيستنا، أو يترقى زميل قبلنا، أو يُمدح
شخص آخر بدلًا منا، قد تنشأ المقارنة والغيرة.
وإذا تركنا هذه المشاعر، فقد نصل إلى كراهية الشخص نفسه.
ليس لأنه أخطأ، بل لأننا لا نحب أن نراه ناجحًا.
لذلك، عندما نكتشف الكراهية تجاه شخص ما، ينبغي أن نسأل:
«هل أكرهه لأنه أخطأ فعلاً؟»
«أم أكرهه لأنني أقارن نفسي به وأغار منه؟»
ينبغي أن نفحص أنفسنا بصدق.

الكراهية لا تبقى في القلب فقط

قال يسوع في متى 15:19 إن الأفكار الشريرة والقتل والزنا وشهادة الزور والتجديف تخرج من القلب.
فالخطية تنمو في القلب قبل أن تظهر في الأفعال.
لذلك عندما يرتفع الغضب، من المهم ألا نتكلم أو نتصرف فورًا.
يقول أمثال 16:32 إن البطيء الغضب خير من الجبار، ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة.
عندما تشتد مشاعرنا، نحتاج إلى التوقف قليلاً.
ليس من الضروري أن نحسم الأمر في اللحظة نفسها.
ولا أن نرسل فورًا رسالة نصية أو بريدًا إلكترونيًا.
ولا أن نصب على الزوج أو الزوجة أو الأبناء كل ما نريد قوله ونحن غاضبون.
ينبغي أن ننتظر حتى يهدأ الغضب، ثم نفحص قلوبنا أمام الله.
«لماذا أنا غاضب إلى هذا الحد؟»
«ماذا أريد حقًا؟»

«هل أريد استعادة هذا الشخص، أم أريد أن أعيد إليه الجرح الذي تلقينته؟»

.هذا الفحص يساعد على منع الغضب من التحول إلى كراهية

.التوقف عند الغضب ليس ضعفاً، بل قوة ضبط النفس

الكراهية يمكن أن تهدم الأسرة

.الأسرة من أكثر الأماكن التي تترك فيها الكراهية جراحاً عميقة

.ولأن أفراد الأسرة قريبون جداً بعضهم من بعض، يستطيعون أن يحبوا بعمق، لكنهم يستطيعون أيضاً أن يجرحوا بعمق

.تُظهر قصة أمنون وثامار في 2 صموئيل 13 مدى الجراح والكراهية التي يمكن أن تنتج عن الرغبة الأنانية

.ما شعر به أمنون تجاه ثامار لم يكن محبة حقيقية، بل شهوة تسعى لإشباع رغبته

.وبعد أن اعتدى عليها بالقوة، كرهها كراهية شديدة

.المحبة الحقيقية تطلب خير الآخر

.أما الرغبة الأنانية فتحول الآخر إلى وسيلة لإشباع حاجاتها

.ولم تتوقف خطية أمنون هناك

.فقد أحدثت جرحاً عميقاً في بيت داود، وأدت في النهاية إلى انتقام أبشالوم

.وُلدت خطية شخص وكراهيته كراهية وانتقاماً آخرين

.فالكراهية لا تبقى وحدها

.والكراهية التي لا تُفرغ في الأسرة يمكن أن تنتقل إلى الزوج أو الزوجة، وأحياناً إلى الأبناء

لا تنتقلوا جراح الزوجين إلى الأبناء

.في تكوين 29 عانت لينة ألم عدم حصولها على محبة زوجها يعقوب

.وحتى في أسماء أبنائها يمكننا أن نرى شوقها إلى محبة زوجها

.قد ينشأ جرح عميق بسبب عدم الحصول على الحب والتقدير من الزوج أو الزوجة

.لكن لا ينبغي محاولة ملء هذا الجرح من خلال الأبناء

.إذا جعلنا الأبناء يقفون إلى جانبنا في النزاع الزوجي، أو تحدثنا إليهم باستمرار عن أخطاء الطرف الآخر، أو طلبنا منهم تعزية

.عاطفية مفرطة بسبب عدم حصولنا عليها من شريك الحياة، فقد نجر الأبناء إلى صراع الوالدين

.الأبناء ليسوا موجودين لملء وحدة والديهم

.وينبغي قدر الإمكان أن يعالج الزوجان مشكلاتهما أمام الله

لا تتقلوا الاستياء من شريك الحياة إلى الأبناء.
ولا تعطوا الأبناء أسبابًا لكراهية الوالد الآخر.
ينبغي ألا يصبح الجرح الذي تلقينته جرحًا للجيل القادم.
إفراغ الكراهية هو من أجل قلبي، وفي الوقت نفسه لحماية الجيل القادم.
كان يوسف مكروهاً، لكنه لم يعيش بالكراهية

في تكوين 37 رأى إخوة يوسف أن أباهم يحبه أكثر منهم، فكرهوه.
أنتجت المقارنة الغيرة، ونمت الغيرة إلى كراهية.
وأخيراً ألقوا يوسف في البئر وباعوه لتجار متجهين إلى مصر.
لقد تخلت عنه أسرته.
وكان لديه أسباب كثيرة للكراهية.
لكن الأمر المدهش أنه لم يجعل الشر الذي صنعه إخوته به المركز الذي يسيطر على حياته.
يقول تكوين 39:21 إن الرب كان مع يوسف حتى في السجن.
تركه الناس، لكن الله لم يتركه.
هذا الإيمان مهم.
كون الناس يكرهونني لا يعني أن الله تركني.
وسوء فهم شخص لي لا يعني أن الله يسيء فهمي.
وشر شخص ضدي لا يعني أن له الكلمة الأخيرة في حياتي.
وفيما بعد التقى يوسف بإخوته الذين باعوه.
وكان يملك القدرة على الانتقام.
لكنه لم ينتقم.
قال لهم في تكوين 50:20:
«أنتم قصدتم لي شراً، أما الله فقصد به خيراً».
لم يقل يوسف إن شر إخوته لم يكن شراً.
بل قال بوضوح إنهم قصدوا به الشر.
لكنه رأى في الوقت نفسه سيادة الله الأعظم من شرهم.
وهذا إيمان مهم جداً لإفراغ الكراهية.
الغفران ليس تسمية الشر خيراً، بل الإيمان بالله الذي هو أعظم من الشر.

عندما تُكرهون، لا تجيبوا الكراهية بالكراهية

قال يسوع إن تلاميذه قد يتعرضون للكراهية في العالم.
وفي يوحنا 15 قال الرب إن العالم أبغضه، ولذلك سيُبغض تلاميذه أيضاً.
فمجرد كراهية شخص لي لا يعني بالضرورة أنني أسير في الطريق الخطأ.
لكن المهم هو ما أختاره عندما أتعرض للكراهية.
إذا كرهني شخص فكرهته بدوري، أكون قد أدخلت إلى قلبي الكراهية التي ألقاها نحوي.
تدعونا عبرانيين 12:3 إلى التأمل في يسوع الذي احتمل مقاومة الخطاة.
إذا نظرنا فقط إلى الشخص الذي يكرهنا، فقد تقسو قلوبنا تدريجياً.
أما إذا نظرنا إلى يسوع الذي احتمل من أجلنا على الصليب، فيمكننا اختيار طريق آخر.
ألا نرد الشر بالشر، ولا الإهانة بالإهانة، ولا الكراهية بالكراهية.

الغفران هو ألا نسمح للكراهية أن تسيطر على القلب

سأل بطرس يسوع كم مرة يغفر لأخيه إذا أخطأ إليه.
فقال يسوع ليس سبع مرات فقط، بل سبعين مرة سبع مرات.
ليس المقصود حساب عدد مرات الغفران، بل تعلم حياة الغفران المستمر.
لكن ينبغي ألا ننسى فهم الغفران.
فالغفران لا يعني أن نقول إن خطأ الآخر لم يكن خطأ.
ولا أن نتصرف وكأن الجرح لم يحدث.
ولا أن نخفي جريمة.
ولا يعني أن الثقة تُستعاد فوراً.
ولا أن كل علاقة يجب أن تعود بالضرورة كما كانت.
عند الحاجة ينبغي وضع حدود صحية.
وفي حالة العنف المتكرر أو الضرر الخطير، قد يكون من الضروري ضمان السلامة وطلب المساعدة المناسبة.
كما ينبغي التمييز بين الغفران والمصالحة.
يمكنني أن أبدأ الغفران أمام الله، لكن المصالحة الكاملة في العلاقة قد تحتاج إلى توبة حقيقية وتغيير من الطرف الآخر.
إذاً، الغفران ليس تبرير خطية الآخر، بل تسليم الحكم النهائي عليه لله، وعدم السماح للكراهية والانتقام بالسيطرة على قلبي.

أعظم مثال للغفران هو الصليب

أعمق مكان لإفراغ الكراهية هو الصليب.

لم يلعن يسوع الذين صلبوه

بل صلى:

«يا أبّاه، اغفر لهم».

يُظهر الصليب نوع المحبة التي نلناها

لم نخلص لأننا أحببنا الله أو لـ

ولم يمت المسيح لأننا كنا مستحقين للمحبة

بل ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا

لذلك فإن قوة غفران الآخرين تنبع من إدراك مقدار الغفران الذي نلناه

إذا سألنا فقط:

«هل يستحق هذا الشخص الغفران؟»

يصعب علينا أن نغفر

لكن أمام الصليب يتغير السؤال

«كم غفر الله لي أنا؟»

وعندما نتذكر هذه النعمة نستطيع أن نفرغ شيئاً فشيئاً الكراهية التي كنا نتمسك بها

ولأنني شخص غُفر له، أتعلم أن أغفر للآخرين

عندما نفرغ الكراهية يبدأ الحب في التدفق من جديد

يقول أمثال 10:12:

«البغضة تهيج خصومات، والمحبة تستر كل الذنوب».

ستر الذنوب لا يعني إخفاء الخطية أو التغاضي عن الخطأ

بل يعني ألا نمسك بضعفات الآخر وأخطائه ونستخدمها أداة لرفع أنفسنا

المحبة لا تخزن أخطاء الماضي ثم تخرجها سلاحاً في كل خصام

بل تتذكر نعمة الله وتحاول أن تمنح النعمة للآخرين

لذلك يجب أن يبدأ إفراغ الكراهية من أقرب العلاقات

افحصوا الجراح القديمة المتركمة تجاه شريك الحياة

خذوا الجراح تجاه الوالدين إلى الله.
وافحصوا المنافسة والاستياء تجاه الإخوة والأخوات.
خذوا جراح الكنيسة وخيبة الأمل في الناس إلى الرب.
وتحدثوا مع الله عن غضبكم تجاه من جعل حياتكم في العمل صعبة.
لا تخفوا الكراهية.
لكن لا تعيشوا متمسكين بها.
أفرغوها أمام الله واحدة تلو الأخرى.
واملأوا مكانها بمحبة المسيح.

«مبادئ وإرشادات عملية لإفراغ الكراهية»

كيف نفرغ الكراهية عمليًا في البيت والكنيسة ومكان العمل؟

قد لا تختفي الكراهية كلها بقرار واحد.

فكلما كان الجرح أقدم، عاد إلى الذاكرة أكثر، وقد نتألم مجددًا بسبب أمر ظننا أننا غفرناه.

عندئذ لا ينبغي أن نظن أننا فشلنا.

بل نأتي به إلى الله من جديد.

إفراغ الكراهية ليس قرارًا عاطفيًا لمرة واحدة بقدر ما هو عملية نسلم فيها الجرح والغضب لله ونختار المحبة كلما عادا.

عندما تكتشفون بذرة كراهية، عالجوها فورًا أمام الله. 1.

لا تستخفوا بالجراح الصغيرة.

إذا كنتم تفكرون باستمرار في شخص وينمو الغضب نحوه، فخذوا هذا الشعور إلى الله.

«يا رب، أنا أكره هذا الشخص».

«ما زلت أغضب عندما أفكر في ذلك الأمر».

«حتى إنني أتمنى أحيانًا أن يحدث له شر».

اعترفوا بصدق بما في القلب أمام الله.

التظاهر بعدم وجود الكراهية ليس إفراغًا.

ينبغي أولاً الاعتراف بوجودها لكي يمكن إفراغها.

عندما يكون الغضب شديدًا، لا تتكلموا ولا تتصرفوا فورًا. 2.

احذروا الكلمات والأفعال أثناء الغضب.

لا ترسلوا فورًا رسالة نصية أو بريدًا إلكترونيًا.

ولا تصبوا كل ما يخطر ببالكم على الزوج أو الزوجة.

ولا تصبوا غضبكم على الأبناء.
ولا تتخذوا قرارات مهمة في العمل وأنتم غاضبون.
توقفوا وصلوا.
وإذا لزم الأمر، ابتعدوا قليلاً وأعطوا القلب وقتاً ليهدأ.
ثم قولوا الحق بمحبة.
كبت الغضب وعدم السماح للغضب بالسيطرة علينا أمران مختلفان.
لا تنكروا المشاعر، لكن لا تسمحوا لها بأن تحدد كلماتكم وأفعالكم.

3. سلّموا رغبة الانتقام لله

أفرغوا الفكر القائل إن عليكم شخصياً أن تجعلوا الآخر يدفع الثمن.
المساءلة الضرورية تختلف عن الانتقام.
إذا كانت العدالة ضرورية، فعالجوا الأمر بوسائل مشروعة.
لكن لا تجعلوا تدمير الآخر هدف حياتكم.
صلوا:
«يا الله، لن أكون القاضي. أسلم هذا الأمر لعدلك»
من أهم لحظات إفراغ الكراهية اللحظة التي نعيد فيها إلى الله كرسي الديان الذي كنا نتمسك به لأنفسنا.

4. لا تنقلوا جراح الأسرة إلى أفراد آخرين

لا تصبوا على الأبناء الجراح التي تلقيتموها من شريك الحياة.
ولا تجعلوا الأبناء في صفكم.
ولا تقارنوا طفلاً بآخر مع المحابة.
افحصوا قلوبكم حتى لا تكرر مع شريك الحياة الجراح التي تلقيتموها من والديكم.
تحتاج الأسرة إلى شخص يقطع تيار الكراهية.
لا تقولوا:
«والداي عاشا هكذا أيضاً، لذلك لا أستطيع أن أفعل شيئاً»
في المسيح نستطيع اختيار طريق مختلف.
ألا ننقل الجرح الذي تلقيناه إلى الشخص التالي، وأن نوقف تيار الكراهية في جيلنا، هو أيضاً ممارسة مهمة للإفراغ.

5. صلوا من أجل الشخص الذي جرحكم

قال يسوع أن نحب أعداءنا ونصلي من أجل الذين يضطهدوننا

في البداية قد لا تأتي الصلاة من القلب

ومع ذلك، ابدأوا بالصلاة

يمكن أن تصلوا بصدق

«يا رب، ليست لدي بعد رغبة في أن أبارك هذا الشخص، لكن اضبط قلبي»

الصلاة لا تعني أن عليكم فوراً أن تعودوا قريبيين من ذلك الشخص

لكن يمكنكم التدريب على الخروج من قلب يلعبه باستمرار وتسليمه لله

والصلاة التي بدأت بالدموع قد تصبح يوماً صلاة رحمة

لكن هذه الممارسات الخمس أيضاً لا تتم بقوتنا وحدها

«لأن الكراهية مرتبطة بجراح عميقة، فقد لا تختفي فوراً بمجرد قرار: «لن أكره بعد الآن

نحن بحاجة إلى معونة الروح القدس

عندما ينير الروح القدس قلوبنا بالكلمة، لا ينبغي أن نخفي الكراهية بل نعترف بها

وينبغي أن نتذكر من جديد الغفران الذي نلناه عند الصليب

يمكننا أن نصلي

يا رب، أرني الكراهية التي في داخلي. لا تسمح لي أن أخفي أمامك الغضب والاستياء والرغبة في الانتقام التي ترتفع في داخلي»

عندما أفكر في الشخص الذي جرحني. ساعدني أن أفرغ رغبتي في أن أكون القاضي وأن أسلم كل حكم لك. لا تسمح لي أن أنقل

الجراح التي تلقيتها إلى شريك حياتي أو أبنائي أو الآخرين، ولا أن أرد الكراهية بالكراهية. اجعلني أدرك بعمق محبة الرب الذي

«غفر لي على الصليب، واملأ قلبي الذي أفرغته من الكراهية بمحبة المسيح

إفراغ الكراهية لا يعني أن نعيش وكأننا لم نتعرض للجرح

ولا يعني أن نقول عن الخطأ إنه ليس خطأ

بل يعني ألا نعطي الشخص الذي جرحنا مكان السيد على قلوبنا

وإذا سمح لقلوبنا بأن تعيش طوال العمر أسيرة للغضب والاستياء بسبب خطأ الآخر

وأن نفرغ رغبتنا في أن نكون القضاة ونسلم الأمر لعدالة الله

ثم نملأ المكان الفارغ بمحبة المسيح وغفرانه

علينا أن نفرغ كراهية قايين

وأن نفرغ رغبة عيسو في الانتقام

وأن نفرغ غيرة شاول وكراهيته

وأن ننظر مثل يوسف إلى يد الله الأعظم من شر البشر

وفوق كل شيء، أن ننظر إلى يسوع الذي غفر على الصليب حتى للذين كرهوه

تقول الكراهية:

«يجب أن أرد لهم ما فعلوه».

أما الإيمان فيعترف:

«سأسلم الأمر لله».

الكراهية تجعلنا نعيش متمسكين بالجراح،

أما المحبة فتجعلنا نعيش متمسكين بالصليب.

لذلك ينبغي أن نسأل أنفسنا كل يوم:

«من هو الشخص الذي ما زلت أكرهه؟»

«ما الجرح الذي لا أستطيع أن أتركه وأفكر فيه مرارًا؟»

«هل هناك شخص أريد أن أكون أنا قاضيه وأجعله يدفع الثمن؟»

«هل أنقل الجرح الذي تلقينته إلى شريك حياتي أو أبنائي؟»

خذوا ذلك الاسم وذلك الجرح إلى الله.

وأفرغوهما واحدًا تلو الآخر.

ليس هدف الإفراغ أن نصبح أشخاصًا فارغين.

بل أن نملا المكان الذي أفرغناه من الكراهية بمحبة المسيح.

وهكذا تصبح بيوتنا وكنائسنا وأماكن عملنا لا قنوات تتدفق فيها الكراهية، بل قنوات تتدفق فيها محبة المسيح.

هذا هو طريق «إفراغ القلب من الكراهية» الذي ينبغي أن نسلكه كل يوم.

«الفصل التاسع: إفراغ» الأفكار الشريرة

في الفصل السابق، تأملنا في ضرورة إفراغ الكراهية المستقرة في قلوبنا، وملء المكان الذي كانت تشغله بمحبة المسيح وغفرانه، والآن نريد أن نتقدم خطوة أخرى إلى عمق أكبر. نريد أن نتأمل في «الأفكار» التي في قلوبنا، تلك التي تسبق كلماتنا وأفعالنا، والتي قد لا يراها الآخرون بسهولة، لكن الله يراها. تدور في أذهاننا أفكار لا تُحصى كل يوم. فمنذ اللحظة التي نفتح فيها أعيننا في الصباح إلى أن نذهب إلى فراشنا ليلاً، تتردد في قلوبنا باستمرار أفكار تدين الآخرين وتقارننا بهم، ومشاعر الجرح والكراهية، والطمع والقلق، والكبرياء والحسد، والرغبة في النيل اعتراف الآخرين وتقديرهم. لكننا نحتاج هنا إلى تمييز مهم. فأن يخطر ببالنا فكر بصورة عابرة شيء، وأن نقبل ذلك الفكر في قلوبنا ونستمر في التمسك به شيء آخر. قد يخطر ببالنا فجأة فكر سيئ دون إرادتنا. وقد يمر في أذهاننا فكر كراهية شخص ما، أو قد ينشأ في قلوبنا شعور بالحسد تجاه شخص آخر. المهم ليس أن ندين أنفسنا لمجرد أن ذلك الفكر قد خطر ببالنا، بل المهم هو كيف نتعامل معه. فإذا تمسكنا بفكر عابر، وأخذنا نفكر فيه مرارًا وتكرارًا، وننميه في قلوبنا، ونستمتع به، ونبدأ في تبريره، فإن ذلك الفكر سيزداد سيطرة على قلوبنا شيئًا فشيئًا. والفكر الذي ينمو في القلب سيؤثر في النهاية في كلماتنا وأفعالنا. لذلك، فإن إفراغ الأفكار الشريرة لا يعني أن نصبح أشخاصًا لا يفكرون في أي شيء بل يعني أنه عندما يدخل إلى أذهاننا فكر لا يرضي الله، فإننا لا نحتضنه في قلوبنا ولا ننميه، بل نميزه في ضوء كلمة الله ونُخضعه للمسيح.

الأفكار الشريرة تبدأ من القلب

عندما تحدث يسوع عما ينجس الإنسان، أشار إلى أعماق القلب البشري. «قال الرب في متى 15:19: «لأنه من القلب تخرج أفكار شريرة: قتل، زنى، فسق، سرقة، شهادة زور، تجديف. وفي مرقس 7:21-23 أيضًا، قال يسوع إن الشرور المختلفة تخرج من داخل الإنسان، أي من قلبه. نحن غالبًا ما نفكر في الخطية من ناحية الأفعال هل كذبت؟ هل سرقتم شيئًا يخص شخصًا آخر؟ هل آذيت شخصًا آخر؟

هل ارتكبت فعلاً غير أخلاقي جنسياً؟

بالطبع، الأفعال مهمة

لكن يسوع نظر إلى ما هو أعمق من الأفعال

فالرب ينظر إلى القلب الذي أنتج تلك الأفعال

تقول رسالة يعقوب 1:15 إن الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتاً

فالخطية لا تظهر فجأة ذات يوم في صورة فعل

إذا واصلنا احتضان فكرة دخلت إلى قلوبنا، فقد تنمو لتصبح شهوة، وإذا استمررنا في اتباع تلك الشهوة، فقد تظهر في النهاية في أفعالنا.

لذلك، فإن إفراغ الأفكار الشريرة لا يعني مجرد تصحيح الأفعال التي ظهرت بالفعل، بل يعني أيضاً أن نفحص أمام الله اتجاه القلب الذي أنتج تلك الأفعال

أمام الله لا نستطيع أن نخفي حتى أفكارنا

أحد أسباب خطورة الأفكار الشريرة هو أنها لا تظهر بسهولة للآخرين

يمكننا أن نكره شخصاً في قلوبنا، وفي الوقت نفسه نبتمس له

«ويمكننا أن نحسده، ومع ذلك نقول له: «مبروك

ويمكننا أن نتمنى في داخلنا أن يفشل شخص ما، بينما نتصرف ظاهرياً كما لو كنا نهتم بمصلحته

لا يستطيع الناس أن يعرفوا كل ما في قلوبنا

لكننا لا نستطيع أن نخفي شيئاً عن الله

«في متى 9:4، عندما كان الكتبة يدينون يسوع في قلوبهم، عرف الرب أفكارهم وقال: «لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم؟

لم يكونوا قد نطقوا بتلك الأفكار بعد

لكن يسوع كان قد عرف أفكارهم بالفعل

:وهذه الحقيقة تضع أماننا أسئلة مهمة جداً

«بماذا أفكر عندما لا يعرف أحد ما في داخلي؟»

«هل أكرر في قلبي أفكاراً لا أستطيع أن أخبر بها الآخرين، بل وأستمتع بها؟»

«إلى أي مدى تتطابق الصورة التي أظهر بها أمام الناس مع القلب الذي يراه الله؟»

القداسة الحقيقية لا تنتهي عند أن نظهر أمام الناس كأشخاص صالحين

بل تعني أن نضع أمام الله حتى الأماكن الخفية في قلوبنا التي لا يراها أحد

يمكن للأفكار الشريرة أن تظهر أيضاً في صورة دينية

الأفكار الشريرة لا تظهر دائماً في صورة خطية واضحة

فقد تبدو أحياناً وكأنها غير روحية

«إيماني أفضل من إيمان ذلك الشخص»

«أنا أعرف الكتاب المقدس أكثر من ذلك الشخص»

«إيمان ذلك الشخص خاطئ»

«أنا على صواب، وهو على خطأ»

قد تبدو هذه الأمور وكأنها أحكام روحية، لكن الكبرياء والإدانة والشعور بالتفوق قد تكون مختبئة في القلب وراءها

لقد رأى يسوع حتى قلوب أولئك الذين كانوا يبدون متدينين وأتقياء.
وفي متى 22:18 أيضاً، عرف يسوع النية الشريرة للذين كانوا يحاولون أن يجربوه.
لذلك، يجب ألا نخلط بين الغيرة لله والبر الذاتي.
فمعرفة الكثير من كلمة الله لا ينبغي أن تصبح سبباً للنظر إلى الآخرين باحتقار.
كما أن كوننا قد عشنا حياة الإيمان سنوات طويلة لا يمنحنا الحق في أن نحكم باستخفاف على إيمان الآخرين.
كلما ازدادنا معرفة بكلمة الله، ينبغي ألا نصبح أشخاصاً يدينون الآخرين، بل أشخاصاً يضعون أنفسهم أولاً أمام كلمة الله.

يجب أن نفرغ «الحسابات» التي في قلوبنا

من بين الأفكار الشريرة أمر مألوف جداً لنا، وهو أن نحسب قيمة الناس في قلوبنا.
تخبرنا لوقا 9:46 أن جدالاً نشأ بين التلاميذ حول مَنْ منهم يكون الأعظم.
ترتبط بالفكر والاستدلال والأحكام التي تجري داخل dialogismos (διαλογισμός)، والكلمة اليونانية المستخدمة هنا القلب.
فقبل أن يخرج الجدل من أفواه التلاميذ، كانت الحسابات قد بدأت بالفعل في قلوبهم.
«مَنْ الأكثر أهمية؟»
«مَنْ ينال اعترافاً وتقديراً أكثر؟»
«لماذا يتقدم ذلك الشخص علي؟»
ونحن أيضاً قد نقوم بحسابات داخلية عندما نتعامل مع الناس.
«لقد فعلت كل هذا من أجل ذلك الشخص، فماذا فعل هو من أجلي؟»
«لماذا يجب أن أكون أنا أول من يتنازل؟»
«ما الفائدة التي سأحصل عليها إذا اقتربت من ذلك الشخص؟»
«إذا ساعدت هذا الشخص، فماذا سأحصل في المقابل؟»
عندما تسيطر مثل هذه الأفكار على قلوبنا، نبدأ في النظر إلى الناس لا باعتبارهم أشخاصاً ينبغي أن نحبه، بل باعتبارهم أشخاصاً.
نحسب من خلالهم الربح والخسارة.
إذا عاملني شخص جيداً، أحببته.
وإذا كان شخص ما نافعاً لي، اقتربت منه.
وإذا اعترف بي شخص وقدّرني، أحببته.
لكن إذا لم يحقق شخص توقعاتي، أغلقت باب قلبي أمامه.
لكن يسوع لم يقل لنا أن نحسب الناس.
بل قال لنا أن نحبه.
لذلك، فإن إفراغ الأفكار الشريرة لا يعني فقط إزالة بعض الأفكار السيئة، بل يعني أيضاً إفراغ القلب من الرغبة في حساب الناس.
وتقييمهم بحسب ما يقدمونه لي من منفعة.

المحبة لا تسجل الشر في دفتر حسابات القلب

«تقول رسالة كورنثوس الأولى 13:5 عن المحبة إنها «لا تحسب السوء»
التي تُترجم بمعنى «يحسب»، تحمل معنى الحساب والعد وتسجيل الحسابات، logizetai (λογίζεταί) والكلمة اليونانية.
ولذلك تحمل هذه العبارة معنى ألا نستمر في تسجيل أخطاء الآخرين في دفتر حسابات قلوبنا وحسابها مراراً.

فالإنسان يتذكر الجروح مدة طويلة.
«ذلك الشخص فعل بي ذلك في ذلك الوقت»
«إكم عانيت بسبب ذلك الأمر»
«هذه المرة يجب أن أرد له ما فعله بي»
وهكذا قد نسجل أخطاء الماضي في دفتر حسابات قلوبنا، ثم نخرجها من جديد كلما نشأ خلاف.
لكن المحبة لا تفعل ذلك.
وهذا لا يعني أن نجبر أنفسنا على نسيان جراحنا.
ولا يعني أن نتصرف وكأن الخطأ لم يحدث قط.
كما لا يعني أن نغطي على مشكلة يجب حلها.
بل يعني ألا نستخدم ما جرحنا به الآخر كدفتر حسابات نستعمله باستمرار لإدائته ومهاجمته.
يقول أمثال 17:9 إن من يستر معصية يطلب المحبة.
المحبة لا تمحو الذاكرة.
بل المحبة لا تستخدم الذاكرة سلاحًا للانتقام.

لا تصنف الناس في قلبك إلى درجات

الحسابات الداخلية تجاه الناس قد تقود إلى التمييز بينهم.
في يعقوب 2:1-4 نرى توبيخاً لمن يعطي الغني مكاناً جيداً في الكنيسة بينما يدفع الفقير إلى مكان أدنى.
لماذا يحدث هذا؟
لأننا بدلاً من أن ننظر إلى الإنسان باعتباره مخلوقاً على صورة الله، نقيمه على أساس مقدار المنفعة التي يمكن أن يقدمها لنا.
وقد تنشأ في قلوبنا أيضاً قائمة درجات غير مرئية.
«هذا الشخص لديه مال كثير»
«هذا الشخص لديه نفوذ»
«الاقتراب من هذا الشخص سيفيدني»
«ذلك الشخص لا يستطيع أن يقدم لي شيئاً»
لكن الله لا يحابي الناس بحسب مظهرهم الخارجي.
لذلك، حتى في الكنيسة، يجب أن نفرغ قلوبنا من الميل إلى معاملة الناس بطريقة مختلفة بحسب أموالهم أو وظائفهم أو تعليمهم أو مكانتهم الاجتماعية أو نفوذهم.
والأمر نفسه ينطبق على مكان العمل.
فإذا كنا لطفاء فقط مع من هم في مناصب أعلى منا، بينما نعامل من هم في مناصب أدنى باستخفاف أو دون احترام، فعلينا أن نفحص قلوبنا.
والأمر نفسه ينطبق على الأسرة.
علينا أن نسأل أنفسنا إن كنا نقدر الطفل المتفوق أكثر، بينما نقارن الطفل الذي يعاني أو يتأخر بإخوته أو بغيره.
قيمة الإنسان لا تتحدد بمقدار المنفعة التي يقدمها لي.
وعندما نفرغ القلب من حساب قيمة الناس بحسب منفعتهم لنا، نبدأ أخيراً في رؤيتهم كأشخاص خُلقوا على صورة الله.

يجب أن نحذر من القلب الذي يحاول أن يحاسب حتى الله

قد تدخل عادة حساب الناس في مرحلة ما حتى إلى علاقتنا بالله.

«لقد صليت كل هذا، فلماذا لا يعطيني الله ما أطلبه؟»

«لقد خدمت كل هذه الخدمة، فلماذا توجد كل هذه الصعوبات في حياتي؟»

«لقد قدمت لله كل هذا، أفلا ينبغي لله أن يعطيني بالمقابل هذا القدر من البركة؟»

عندما تسيطر مثل هذه الأفكار على قلوبنا، يتحول الإيمان أيضًا إلى صفقة.

في أعمال الرسل 8، حاول سمعان أن يحصل على قوة الله بالمال.

وبدلاً من أن يتلقى نعمة الله كعطية، اعتبرها شيئاً يستطيع أن يمتلكه ويستخدمه.

وتحذرننا رسالة تيموثاوس الأولى 6 أيضاً من الموقف الذي يعتبر التقوى وسيلة للربح.

وعلينا نحن أيضاً أن نسأل أنفسنا:

«هل أحب الله، أم أنني أحاول من خلال الله أن أحصل على ما أريده؟»

«هل أنا شاكر لنعمة الله ذاتها، أم أنني أشكر الله فقط عندما يعطيني ما أريده؟»

عندما نبدأ في حساب النعمة، يختفي الشكر.

وعندما نحسب المحبة، تتحول الخدمة إلى صفقة.

وعندما نحسب الإيمان، قد نجعل حتى الله وسيلة لتحقيق رغباتنا.

لذلك، علينا أمام الله أن نتعلم الثقة بدلاً من الحساب.

الأفكار التي نحتضنها قد تنمو وتتحول إلى أفعال

يقدم لنا الكتاب المقدس أمثلة كثيرة على أفكار ورغبات تحولت في النهاية إلى أفعال حقيقية.

في يشوع 7، رأى عخان الغنائم.

فاشتهاها.

وفي النهاية أخذها وأخفاها.

في البداية كانت مجرد رغبة في قلبه.

ولكن لأنه لم يتعامل مع تلك الرغبة، تحولت إلى فعل.

والأمر نفسه حدث مع يهوذا الإسخريوطي.

تقول يوحنا 13:2 إن إبليس كان قد وضع في قلب يهوذا فكرة تسليم يسوع.

وبعد ذلك، تحولت نية الخيانة إلى فعل حقيقي.

ولهذا السبب يجب ألا نستخف بأفكارنا.

«تقول كورنثوس الثانية 10:5 إن علينا أن نأسر» كل فكر إلى طاعة المسيح.

وهذا لا يعني أن كل فكرة تصبح خطية منذ اللحظة التي تخطر فيها ببالنا.

المهم هو: هل سنتمسك بذلك الفكر ونتبعه، أم سنخضعه للمسيح؟

قد تأتي الأفكار إلى أذهاننا، لكن علينا أن نميّز في ضوء كلمة الله ما إذا كنا سنعطي تلك الأفكار مكاناً في قلوبنا أم لا.

إذا تركنا الأفكار الشريرة دون معالجة، تضعف قدرتنا على التمييز

إذا واصلنا احتضان الأفكار الشريرة، فقد تتبدل حساسيتنا تجاه الخطية تدريجياً.

فالشيء الذي كان يزعج ضميرنا في البداية قد يبدو لنا بعد فترة أمراً عادياً تماماً.

في البداية قد نعرف أن إدانة الآخرين أمر خاطئ، ولكن إذا كررنا ذلك باستمرار، فقد نبدأ في تبرير أنفسنا قائلين:

«أنا فقط قلت الحقيقة».

والشيء الذي عرفناه في البداية على أنه طمع، قد نغلفه في وقت لاحق بعبارة

«أنا فقط أريد أن أنجح».

:وقد نفسر الشعور الذي بدأ حسداً بقولنا

«المشكلة في ذلك الشخص».

.هكذا نخدع الخطية أفكارنا

«ولهذا يقول أمثال 4:23: «فوق كل تحفظ احفظ قلبك».

.يجب ألا يستخف المؤمن بأفكاره

«بماذا أفكر باستمرار هذه الأيام؟»

«أفكار من تسيطر على قلبي؟»

«هل تقربني هذه الأفكار من الله، أم تجرني نحو الكراهية والكبرياء والطمع؟»

.علينا أن نسأل أنفسنا هذه الأسئلة كثيراً

افتح الغرفة السرية في قلبك لله

.يوجد في قلوبنا مكان سري لا يستطيع أحد الدخول إليه

.قد لا نعرف عائلتنا ما فيه

.وقد لا يعرفه شريك حياتنا

.وقد لا يعرفه أعضاء الكنيسة

.هناك نتخيل ونحكم ونشتهي بحرية

.ولهذا فإن المعركة الروحية الحقيقية تحدث في المكان الذي لا تراه أعين الناس

.قد نبدو أتقياء أمام الناس بينما ندين شخصاً آخر في قلوبنا

.وقد نبارك شخصاً بأفواهنا بينما نتمنى في داخلنا أن يفشل

.لكن الله يرى حتى ذلك المكان السري

.لذلك، علينا أن نفتح بابه لله

.لا تختبئ

.لا تقدم الأعذار

.لا تبرر نفسك

:صل مثل داود

اختبرني يا الله واعرف قلبي. امتحني واعرف أفكاري. وانظر إن كان فيَّ طريق باطل، واهدني طريقاً أبدياً» (مزمو 139:23-24).

.هذه الصلاة ليست صلاة لإدانة أنفسنا

.بل هي صلاة نطلب فيها من الله أن يساعدنا على فحص قلوبنا بصدق في نور حضوره

املاً المكان الذي أفرغ من الأفكار الشريرة بكلمة الله

.لا يكفي أن نفرغ الأفكار الشريرة فقط

.فالهدف ليس أن نترك قلوبنا فارغة

تقول رومية 12:2 إننا نتغير عن شكلنا بتجديد أذهاننا
وتحتنا فيلبي 4:8 أن نفكر في كل ما هو حق وجليل وعادل وطاهر ومحبوب وحسن الصيت ومستحق للمدح
فالكاتب المقدس لا يقول لنا فقط
«لا تفكروا في أفكار سيئة»
بل يعلمنا أيضاً في ماذا ينبغي أن نفكر
لذلك، عندما تنشأ الكراهية، فكر في الغفران
وعندما ينشأ الحسد، اشكر الله على النعمة التي أعطاهَا لذلك الشخص
وعندما ينشأ الكبرياء، تذكر أن كل ما نلته هو نعمة
وعندما ترغب في إدانة شخص ما، تذكر أنك أنت أيضاً إنسان يحتاج إلى رحمة الله
وعندما ينشأ الطمع، ابدأ في عد النعم التي سبق أن نلتها
وقبل كل شيء، فكر في يسوع المسيح
إن أفضل طريق لإفراغ الأفكار الشريرة ليس أن نحاول ألا نفكر في أي شيء، بل أن نسمح لكلمة الله بأن تجدد أفكارنا
يجب أن نسمح لفكر المسيح أن يحكم أفكارنا

«مبادئ وإرشادات عملية لإفراغ «الأفكار الشريرة»

فكيف يمكننا إذاً أن نفرغ الأفكار الشريرة في حياتنا اليومية؟
لأن الأفكار غير مرئية، فمن السهل أن نتركها دون معالجة.
لكن تدريب أنفسنا على ضبط أفكارنا هو نقطة بداية مهمة لتغيير كلماتنا وأفعالنا في الأسرة والكنيسة ومكان العمل.
ويمكننا أن نمارس الأمور الخمسة التالية في حياتنا.

«عندما يخطر ببالك فكر شرير، مارس «توقف - ميّز - صلّ - استبدل» 1.

.عندما يخطر ببالك فكر شرير، لا تتبعه تلقائياً.

.أولاً، توقف.

:واسأل نفسك:

«ما الفكر الذي يدخل إلى قلبي الآن؟»

.انتبه إلى ذلك الفكر وتعرّف عليه.

.ثم ميّزه.

«هل يتفق هذا الفكر مع كلمة الله؟»

«هل يتجه هذا الفكر نحو المحبة والحق والقداسة، أم نحو الكراهية والكبرياء والطمع؟»

:ثم صلّ:

«يا رب، لا تسمح لي أن أحتضن هذا الفكر في قلبي وأن أنميّه. أخضع أفكاري للمسيح».

.وأخيراً، استبدله.

.لا تحاول فقط أن تمحو الفكر الشرير بالقوة.

.بل استبدله بفكر يتفق مع كلمة الله.

.اختر الغفران بدلاً من الكراهية.

.والبركة بدلاً من الحسد.

.والتواضع بدلاً من الكبرياء.

.والشكر والعطاء بدلاً من الطمع.

.والرحمة بدلاً من الإدانة.

.إن إفراغ الأفكار الشريرة لا يعني إزالة الأفكار بالقوة، بل تمييزها أمام كلمة الله واستبدالها بأفكار تتفق مع إرادة المسيح.

2. في الأسرة، لا تسجل أخطاء الماضي في دفتر حسابات قلبك.

في الأسرة، نعرف نقاط ضعف بعضنا بعضًا أكثر من أي شخص آخر.

ولذلك، عندما ينشأ خلاف، يسهل علينا أن نعيد إخراج أخطاء الماضي.

«لقد فعلت الشيء نفسه من قبل».

«كنت هكذا تمامًا قبل عدة سنوات أيضًا».

«ما زلت أتذكر ذلك الأمر».

يجب أن نتحدث بصدق عن المشكلات التي تحتاج إلى حل.

ولا نحتاج إلى إجبار أنفسنا على نسيان جراحنا.

لكن لا تُخرج في كل خلاف أمرًا سبق أن غفرت عنه لتستخدمه سلاحًا تهاجم به الطرف الآخر.

لا تستمر في تسجيل أخطاء شريك حياتك في دفتر حسابات قلبك.

ولا تحدد هوية ابنك أو ابنتك اليوم بناءً على أخطاء الماضي.

ولا تقارن ضعف أحد أفراد الأسرة بضعف فرد آخر.

المحبة لا تحسب الشر.

وإفراغ الأفكار في الأسرة لا يعني أن ننسى جميع أخطاء أفراد عائلتنا، بل أن نفرغ القلب من الرغبة في التمسك بتلك الأخطاء من أجل إدانتهم.

3. في الكنيسة والمجتمع، لا تصنف الناس إلى درجات في قلبك.

لا تحكم على قيمة الإنسان بحسب أمواله أو وظيفته أو تعليمه أو نفوذه.

لا تكن لطيفًا فقط مع الأشخاص الذين يمكن أن يفيدوك.

ولا تحكم على شخصية شخص وإيمانه بالكامل بأنهما شريران لمجرد أن رأيه يختلف عن رأيك.

لا تحكم مسبقًا على الناس لمجرد أنك سمعت إشاعات عنهم.

ولا تنضم بسهولة إلى الأحاديث التي تتناول نقاط ضعف الآخرين.

وبشكل خاص في الكنيسة، علينا أن نحذر من القلب الذي ينظر إلى شخص على أنه متفوق روحياً وإلى آخر على أنه أدنى منه على أساس مستوى إيمانه.

فنحن جميعًا أناس نحتاج إلى نعمة الله.

الإنجيل لا يقسم الناس إلى درجات، بل يجعلنا ننظر بعضنا إلى بعض كإخوة وأخوات في المسيح.

4. في مكان العمل، ضع الأمانة والمحبة قبل حساب الربح والخسارة.

الحساب ضروري في مكان العمل.

ففي الأعمال التجارية يجب حساب التكاليف والأرباح، كما يجب اتخاذ قرارات مسؤولة.

لذلك، ليس كل حساب شريراً.

المشكلة هي القلب الذي يريد التخلي عن الأمانة والعدل والمحبة من أجل تحقيق الربح.

لا تخفِ حقائق مهمة في العقود.

ولا تستغل نقطة ضعف لا يعرفها الطرف الآخر لكي تحصل على منفعة غير عادلة.

ولا تنشر كلامًا كاذبًا لكي تسقط منافسًا.
ولا تنسب إنجازات زميلك في العمل إلى نفسك.
وعندما تتخذ قرارًا مهمًا، لا تسأل فقط:
«كم سأستفيد من هذا؟»
بل اسأل أيضًا:
«هل هذا أمين أمام الله؟»
فمكان عمل المؤمن هو أيضًا مكان يعيش فيه أمام الله.

5. في نهاية كل يوم، افحص أفكار قلبك أمام الله.

قبل أن تذهب إلى فراشك، خذ ولو وقتًا قصيرًا لتراجع قلبك خلال ذلك اليوم.
«من الذي أدنته اليوم؟»
«تجاه من حملت مشاعر جرح أو استياء؟»
«هل حسدت نجاح شخص ما؟»
«هل عاملت الناس بحسب مقدار منفعتهم لي؟»
«هل فكرت في التنازل عن الأمانة من أجل مصلحتي؟»
«هل تمسكت في مكان لا يراني فيه أحد بأفكار لا ترضي الله؟»
ثم صلِّ صلاة المزمور 139:
«اختبرني يا الله واعرف قلبي... واهدني طريقًا أبديًا».
إذا اكتشفت خطأ، فتب.
وإذا كان هناك شخص تحتاج إلى أن تغفر له، فاذكر اسمه أمام الله.
وإذا كان هناك شيء يحتاج إلى تصحيح، فابدأ في العمل على تصحيحه في اليوم التالي.
إن عادة فحص أفكار كل يوم أمام الله تساعدنا على أن نضع أفكارنا تحت سلطان كلمة الله بدلًا من أن تسمح لأفكارنا بأن تقودنا حيث نشاء.
لكن يجب ألا نحاول أن نحقق كل هذه الممارسات بارادتنا وجهدنا فقط.
فنحن لسنا أشخاصًا يستطيعون التحكم الكامل في أفكارهم.
نحن بحاجة إلى معونة الروح القدس.
يجب أن ينبير الروح القدس قلوبنا بواسطة كلمة الله، وأن يساعدنا على تمييز الأفكار التي ترضي الله، وأن يجدد أذهاننا.
لذلك يمكننا أن نصلي هكذا:
يا رب، افحص قلبي وأفكاري. أرني الأفكار الشريرة التي في قلبي، تلك التي لا يراها الناس لكنك أنت تعرفها. لا تسمح لي بأن أخفي أو أبرر الأفكار التي أدين بها الآخرين وأحسب قيمتهم، وأكرهم وأحسد هم، وأسعى بها إلى مصلحتي فقط.
عندما تخطر ببالي أفكار شريرة، ساعدني ألا أتمسك بها وأنميها، بل أن أميزها أمام كلمتك وأن أخضع كل فكر للمسيح.
ساعدني أن أضع كلمة الله قبل أفكارني، وأن أطلب إرادة الله قبل رغباتي.
«املأ قلبي، بعد أن أفرغ من الأفكار الشريرة، بكلمتك وبروحك القدس، وشكّل في داخلي فكر المسيح.
إن إفراغ الأفكار الشريرة لا يعني أن نصبح أشخاصًا لا يفكرون في أي شيء.
ولا يعني أيضًا أن نلغي تفكيرنا ذاته.
إفراغ الأفكار الشريرة يعني ألا أسمح لأفكاري بأن تصبح سيدة حياتي، بل أن أخضع كل فكر للمسيح.
إنه أن أضع كلمة الله قبل أفكارني، وأن أطلب إرادة الله قبل رغباتي، وأن أتبع فكر المسيح بدلًا من حكمي الشخصي.

إن هدف الإفراغ ليس أن نصيح أشخاصًا فارغين.
بل أن نملأ المكان الذي أفرغ من الأفكار الشريرة بكلمة الله، وأن نعيش تحت قيادة الروح القدس، وأن نحمل فكر المسيح
لذلك، علينا اليوم أيضًا أن نفحص قلوبنا
علينا أن ننتبه إلى الأفكار التي تدخل إلى قلوبنا، وإلى الأفكار التي نتمسك بها، وإلى الأفكار التي تنمو في داخلنا
وعندما نكتشف فكرًا لا يرضي الله، فلا نخفيه
بل لنفرغه أمام الله
واملأ ذلك المكان الفارغ بكلمة الله
واملأه بمحبة المسيح
وسلمه لقيادة الروح القدس
عندما تتغير أفكارنا، تتغير كلماتنا
وعندما تتغير كلماتنا، تتغير أفعالنا
وعندما تتغير أفعالنا، تبدأ حياتنا أيضًا في التغير شيئًا فشيئًا
تقول الأفكار الشريرة:
«فكري أنا هو الصحيح»
لكن الإيمان يعترف:
«حتى أفكارى يجب أن تُفحص أمام كلمة الله»
—إن إفراغ الأفكار الشريرة وإخضاع كل فكر للمسيح
هذا هو طريق «إفراغ الأفكار الشريرة» الذي ينبغي لنا أن نسلكه كل يوم

«الفصل العاشر: إفراغ» الفجور الجنسي

أَمَّا الزَّانِي بِأَمْرٍ فَعَدِيمُ الْعَقْلِ. الْمُهِلُّكَ نَفْسَهُ هُوَ يَفْعَلُهُ. ضَرْبًا وَخَرْبًا يَجِدُ، وَعَارُهُ لَا يُمَحَى» (أمثال 32:6-33)

في الفصل السابق، تأملنا في الأفكار الشريرة التي تستقر في قلوبنا. وقد نظر يسوع لا إلى الأفعال الظاهرة فقط، بل إلى القلب الذي تبدأ منه تلك الأفعال.

ولكن من بين الأفكار الشريرة التي يمكن أن تستقر في القلب، هناك أمر ينبغي أن نحذر منه بصورة خاصة، وهو القلب المنغمس في الفجور الجنسي والشهوة.

فالخطية الجنسية لا تظهر فجأة في يوم من الأيام على هيئة فعل.

عندما نستمر في احتضان ما رأته أعيننا، ونسمح لقلوبنا بأن تتجذب إلى شخص لا ينبغي أن نوجه إليه هذا النوع من الاهتمام، ونستمر في تنمية الرغبات الخاطئة، فقد تتحول تلك الرغبات في النهاية إلى أفعال.

وهذا ما حدث مع داود.

في صموئيل الثاني 11، كان داود يتمشى على سطح القصر الملكي، فرأى امرأة تستحم. وكانت المرأة جميلة جدًا.

لكن داود لم يتوقف عند ذلك.

بل أرسل لیسأل من تكون هذه المرأة.

ومع أنه عرف أنها بثشبع زوجة أوريا، فإنه أرسل فأحضرها إليه وارتكب معها الزنا.

لم تكتمل خطية داود في لحظة واحدة.

رأى.

واهتم.

وسأل عنها.

ثم في النهاية حوّل رغبته إلى فعل.

لذلك، فإن إفراغ الفجور الجنسي لا يعني فقط الامتناع عن الفعل الأخير، أي الزنا.

إن إفراغ الفجور الجنسي يعني أن نفرغ من قلوبنا النظرة التي ترى الإنسان الآخر مجرد وسيلة لإشباع رغباتنا، وأن نحفظ أعيننا وقلوبنا وأجسادنا ضمن نظام المحبة الذي وضعه الله.

نظر يسوع إلى القلب، لا إلى الفعل وحده

قال يسوع في الموعظة على الجبل:

«قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: لَا تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ» (متى 27:5-28)

لقد نقل يسوع قضية الزنا من مستوى الفعل الخارجي إلى مستوى القلب.
فمجرد أن الإنسان لم يرتكب الزنا فعلياً لا يعني أن قلبه طاهر أيضاً.
وهنا من المهم أن نميز بين إدراك جمال إنسان ما وبين النظر إليه بوصفه موضوعاً للشهوة.
فمجرد النظر إلى إنسان آخر ليس في ذاته خطية.
كما ينبغي ألا ننظر إلى الرغبة الجنسية في ذاتها على أنها شر مطلق، بمعزل عن حقيقة أن الله خلق الإنسان ذكراً وأنثى.
إنما المشكلة هي في القلب الذي يفصل الجنس، الذي وهبه الله، عن إرادة الله ونظامه، ويستخدمه وسيلة لإشباع رغباته الخاصة.
تبدأ الخطية بالنمو عندما ننظر إلى الإنسان الآخر لا بوصفه شخصاً كامل الكرامة، بل بوصفه موضوعاً لرغباتنا، وعندما نتعمد احتضان الشهوة نحوه، ونستمتع بها مراراً في داخلنا، ونسعى إلى تجاوز الحدود التي وضعها الله.
لذلك، فكلمات يسوع ليست مجرد وصية بأن نحذر من أفعالنا.
إنها دعوة إلى أن نفحص حتى نظراتنا وقلوبنا أمام الله.

الفجور الجنسي يهدم الإنسان نفسه والآخرين معاً

يحذرنا أمثال 6 من أن الإنسان الذي يرتكب الزنا يهلك نفسه في النهاية.
فالخطية الجنسية ليست مشكلة شخصية تخص فرداً واحداً فقط.
يمكنها أن تجرح الزوج أو الزوجة جرحاً عميقاً.
وقد تترك جروحاً في الأبناء أيضاً.
وقد تهز الأسرة بأكملها.
كما يمكنها أن تهدم الثقة في الكنيسة والمجتمع.
وحين نبدأ في إخفاء الخطية، يسهل أن نتبعها خطايا أخرى.
فنبدأ بالكذب.
ونبدأ بإخفاء الهاتف والرسائل.
ونخفي تحركاتنا وأماكن وجودنا.
وقد نتصرف أمام الناس كما لو أن شيئاً لم يحدث، بينما نعيش في الخفاء حياة أخرى منفصلة.
وهكذا يجلب الفجور الجنسي معه الكذب والرياء.
لذلك، يجب ألا نستخف بالبداية.
«ما المشكلة في أن أنظر مرة واحدة؟»
«ما الضرر ما دمت أفكر في الأمر في قلبي فقط؟»
«نحن مجرد صديقين مقربين»
«لم يحدث شيء حتى الآن»
إذا استمررنا في طمأنة أنفسنا بهذه الطريقة، فقد نجد أنفسنا يوماً في مكان لم نتخيل قط أننا سنصل إليه.
ومن أحكم الطرق للانتصار على الخطية ألا نسير حتى اللحظة الأخيرة ثم نحاول الصمود، بل أن نغير اتجاهنا منذ البداية ونبتعد عن طريق الخطية.

يجب أن نحفظ أعيننا وقلوبنا

«تحدثنا رسالة يوحنا الأولى 2:16 من «شهوة الجسد، وشهوة العيون، وتعظم المعيشة»
إن أعيننا تؤثر في قلوبنا.

لذلك، فإن ما ننظر إليه مهم

لكن الفجور الجنسي لا يبدأ دائماً من العين وحدها

فقد يبدأ من الوحدة

وقد يبدأ من الرغبة في الحصول على اهتمام الآخرين وتقديرهم

وقد يبدأ حين يكون هناك استياء من الزوج أو الزوجة، أو صراع في العلاقة الزوجية، فيبدأ الإنسان بالانكفاء عاطفياً على شخص آخر.

وقد ننمي الشهوة من خلال مشاهدة الإنترنت ومقاطع الفيديو ووسائل التواصل الاجتماعي بصورة متكررة

وقد يتحرك القلب أيضاً عندما نبني مع شخص نلتقي به في العمل أو الكنيسة علاقة عاطفية أكثر حميمية مما ينبغي

:لذلك، لا ينبغي أن نسأل فقط

«ماذا أنظر إليه؟»

بل علينا أيضاً أن نسأل

«نحو من يتجه قلبي الآن؟»

«عند من أبحث عن الحميمية التي ينبغي أن أجدها مع شريك حياتي؟»

«اهتمام من وتقدير من يجذبان قلبي بصورة مفطرة؟»

«ماذا أشاهد وأفكر فيه مراراً عندما أكون وحدي؟»

علينا أن نفحص أنفسنا بأمانة أمام هذه الأسئلة

لا تثق بنفسك أكثر مما ينبغي أمام التجربة

يصور لنا أمثال 7 إنساناً يقع في تجربة الفجور

إنه يقترب من المكان الخطر

ويدخل بنفسه في ظرف كان ينبغي أن يتجنبه

ثم في النهاية يستمع إلى كلمات الإغراء ويتبعها

ومن هنا نتعلم مبدأ مهماً

الانتصار على التجربة لا يعني أن ندخل إلى وسط التجربة لنثبت مدى قوة إرادتنا

الحكمة هي أن نتجنب ما ينبغي تجنبه

لا تنتظر إلى ما لا ينبغي لك أن تنتظر إليه

إذا كان هناك شيء ينبغي حذفه، فاحذفه

لا تدخل إلى المواقع التي لا ينبغي لك دخولها

لا تستمر في مراسلات شخصية لا ضرورة لها

إذا كانت هناك علاقة تحرك قلبك في اتجاه خاطئ، فضع لها حدوداً مناسبة

وإذا كنت تسقط في الخطية مراراً عندما تكون وحدك في وقت أو مكان معين، فغيّر تلك البيئة

«أنا بخير»

«أنا راجع، ولذلك أنا بخير»

«لقد عشت حياة الإيمان سنوات طويلة، ولذلك أستطيع أن أنتصر على شيء كهذا»

«نحن مجرد صديقين مقربين»

مثل هذه الثقة بالنفس قد تكون هي نفسها مصدر خطر

الاعتراف بضعفنا هو الحكمة

فالإنسان الذي يحارب الخطية ليس هو الذي يبقى قريباً منها ويفتخر بقوته، بل هو الذي يبتعد عن موضع الخطية ويقترّب من الله.

انظر إلى الإنسان بوصفه شخصاً كريماً، لا موضوعاً للرغبة

إحدى أعمق مشكلات الفجور الجنسي تكمن في الطريقة التي ننظر بها إلى الآخرين. لقد خلق الله الإنسان على صورته. لذلك، فجسد الإنسان الآخر ليس شيئاً أستطيع أن أنظر إليه وأتخيله وأستخدمه كما أشاء. علينا أن نحترم الأشخاص من الجنس الآخر الذين نلتقي بهم في مكان العمل. وعلينا أن نحترم الأشخاص من الجنس الآخر الذين نلتقي بهم في الكنيسة. وعلينا أيضاً أن نتذكر أن الشخص الذي نراه على الإنترنت هو إنسان خلق على صورة الله. عندما نبدأ في النظر إلى إنسان ما بوصفه موضوعاً لرغبتنا، تتراجع شخصيته وكرامته إلى الخلف، وتتقدم رغبتنا نحن إلى الأمام. هذا ليس حباً. فالمحبة تطلب خير الآخر، أما الشهوة فتحاول أن تشبع رغباتها من خلال الآخر. المحبة تحترم الآخر، أما الشهوة فتحاول استخدامه. المحبة تحفظ الحدود، أما الشهوة فتجاوزها. لذلك، فإن إفراغ الفجور الجنسي لا يعني مجرد قمع الرغبة الجنسية. بل يعني استعادة النظرة التي ترى الإنسان إنساناً.

الزواج الذي أعطاه الله هبة جميلة

لا يعلم الكتاب المقدس أن الجنس في ذاته شيء نجس. لقد خلق الله الرجل والمرأة، وجعل الزوج والزوجة، ضمن عهد الزواج، يحب أحدهما الآخر ويصيران جسداً واحداً. لذلك، فإن محبة الزوجين والحميمية الجنسية داخل الزواج هما هبة جميلة أعطاه الله. المشكلة هي أن نأخذ الهبة التي أعطاه الله، ونفصلها عن إرادته ونظامه، ونستخدمها لإشباع رغباتنا الخاصة. لا ينبغي للزوجين أن يعامل أحدهما الآخر كأداة لإشباع الرغبة. بل ينبغي أن يحب أحدهما الآخر ويحترمه ويراعيه. وحتى في العلاقة الجنسية، فإن المحبة والمسؤولية ومراعاة أحدهما الآخر أهم من المطالب الأحادية الجانب. ينبغي أن تقوم الحميمية الزوجية في إطار المحبة، لا التملك. الجنس الذي وهبه الله جميل. لكن الشهوة التي تتجاوز الحدود التي وضعها الله تشوه هذه الهبة الجميلة.

لا تقارن شريك حياتك بشخص آخر

«يقول أمثال 5:18: «افرح بامرأة شبابك. ينبغي للإنسان المتزوج أن يعتز بشريك الحياة الذي سمح الله له به، وأن يتعلم القناعة والأمانة داخل عهد الزواج. ولكن عندما تبدأ المقارنة، يبدأ الرضا في الاهتزاز. «ذلك الشخص أجمل من شريك حياتي» «ذلك الشخص يفهمني أكثر من شريك حياتي»

«ذلك الشخص يصغي إليّ بصورة أفضل»
«عندما أكون مع ذلك الشخص، أشعر بأنني أحصل على تقدير أكبر»
إذا استمررنا في احتضان هذه الأفكار، فستبدو لنا نقائص شريك حياتنا أكبر فأكبر، بينما تبدو لنا مزايا الشخص الآخر أكبر فأكبر.
وقد يأتي وقت يترك فيه القلب شريك الحياة قبل أن يفعل الجسد ذلك.
لذلك، فالأمانة الزوجية لا تعني فقط عدم ارتكاب الزنا الجسدي.
بل تعني أن نحيا بأمانة تجاه شريك حياتنا في القلب والجسد والعلاقة.
انظر من جديد إلى الصفات الحسنة في شريك حياتك.
عبّر عن امتنانك.
أصغيا أحكما إلى الآخر.
نمّيا الحميمة بينكما.
تحدثا بأمانة عن احتياجاتكما.
إذا كانت هناك جروح، فلا تتجاهلها، بل تحدثا عنها.
فالزواج ليس علاقة تصبح سليمة من تلقاء نفسها.
المحبة تحتاج إلى عناية.

الصعوبات الزوجية لا يمكن أن تكون مبررًا للزنا

قد تحدث صراعات بين الزوجين.
وقد تنشأ مسافة عاطفية بينهما.
وقد تكون هناك صعوبات جنسية.
وقد تختلف احتياجاتهما.
لا ينبغي الاستخفاف بهذه المشكلات.
على الزوجين أن يتحدثا بأمانة، وأن يطلبوا مساعدة حكيمة عند الحاجة، وأن يعتنيا بعلاقتهما.
لكن هناك أمرًا واضحًا.
صعوبة العلاقة مع شريك الحياة لا تبرر الزنا.
«شريك حياتي لم يفهمني»
«شريك حياتي لم يحبني»
«علاقتنا الزوجية لم تكن جيدة منذ وقت طويل»
هذه الصعوبات تحتاج إلى معالجة جادة، لكنها لا يمكن أن تصبح سببًا لتحميل شخص آخر مسؤولية زنا اخترناه نحن.
مسؤولية الخطية تقع على اختيار الإنسان نفسه.
لذلك، عندما تظهر المشكلات، بدلًا من نقل القلب إلى شخص آخر، ينبغي أولاً أن نتحدث بأمانة مع شريك حياتنا وأن نفحص قلوبنا.
أمام الله.
والأمانة لشريك الحياة لا تعني مجرد عدم إقامة علاقة مع شخص آخر.
بل تعني أن نحب شريك الحياة الذي أعطانا الله إياه، ونحترمهم، ونحيا بأمانة لهذا العهد بقلوبنا وأجسادنا وحياتنا.

أمام مشكلة الفجور الجنسي، افحص نفسك قبل أن تفحص الآخرين

الخطية الجنسية أيضًا من الموضوعات التي تجعلنا ندين الآخرين بسهولة.

قد نكون شديدي الحساسية تجاه خطايا الآخرين، بينما نكون بليدي الحس تجاه الشهوة الموجودة في قلوبنا. في يوحنا 8، أحضر الناس إلى يسوع امرأة أمسكت في الزنا:

ركزوا على خطية المرأة، لكن يسوع قال لهم: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِمْهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ»

لا تعني هذه الكلمات أن الزنا ليس خطية. بل تعني أنه قبل أن ندين خطية شخص آخر، يجب أن نتذكر أننا نحن أيضًا خطاة واقفون أمام الله. لذلك، علينا أولاً أن نسأل أنفسنا:

«هل عيناى طاهرتان؟»

«هل توجد شهوة أحتضنها مراراً في قلبي؟»

«هل أعتد عاطفياً بصورة مفرطة على شخص ليس شريك حياتي؟»

«ماذا أشاهد عندما لا يراني أحد؟»

«هل أنتقد خطية الآخرين بينما أخفي خطية قلبي؟»

قبل أن نرفع حجراً على شخص آخر، علينا أن نضع قلوبنا نحن أمام الله.

عندما تدرك الخطية، لا تخفها بل ارجع إلى الله

عندما يسقط الإنسان في الخطية الجنسية، فإن المشكلة تصبح أعمق إذا بدأ في إخفاء الخطية. يتبعها الكذب. ويتبعها الرياء. وتتبعها الأعداء التي تهدف إلى الهروب من المسؤولية.

«الشخص الآخر هو الذي اقترب مني أولاً»

«كنت أشعر بالوحدة بسبب شريك حياتي»

«لم يكن لدي خيار»

«حدث ذلك مرة واحدة فقط»

إذا بررنا خطيتنا بهذه الطريقة، فإننا نبتعد أكثر فأكثر عن التوبة. وداود أيضاً حاول في البداية أن يخفي خطيته:

ولكن عندما كشفت خطيته من خلال ناثان النبي، اعترف أخيراً:

«فَقَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ»

الشخص الذي يفرغ الفجور الجنسي من حياته ليس شخصاً لا يتعرض للتجربة أبداً. بل هو شخص لا يختبئ عندما يدرك خطيته، وإنما يرجع إلى الله. علينا أن نعترف بالخطية. وعلينا أن نتوقف عن تقديم الأعداء. وعلينا أن نتحمل المسؤولية التي ينبغي أن نتحملها. وإذا كانت هناك علاقة يجب قطعها، فيجب قطعها. وإذا كنا بحاجة إلى المساعدة، فعلى أن نطلبها. التوبة لا تنتهي بمجرد القول:

«لقد أخطأت»

بل يجب أن يصاحبها تغيير عملي حقيقي، أي التحول عن طريق الخطية.

انظر إلى نعمة الله التي هي أعظم من الخطية

لكن عند التعامل مع الخطية الجنسية، لا ينبغي أن يكون هناك تحذير فقط.
لأن الإنجيل يحمل أيضاً رسالة الاسترداد.
في سفر هوشع، أظهر الله من خلال عائلة هوشع محبته لإسرائيل غير الأمين.
لقد ترك إسرائيل الله وتبع آلهة أخرى.
لكن الله لم يكتفِ بالتخلي عنهم، بل دعاهم إلى الرجوع إليه من جديد.
وهذا لا يعني أن الزنا خطية بسيطة.
بل إنه، إلى جانب إظهار خطورة الخطية، يكشف لنا نعمة الله التي هي أعظم من الخاطئ.
لذلك، حتى الإنسان الذي سقط في الخطية الجنسية لا ينبغي أن يبقى في الخطية وهو يقول:
«لقد انتهت كل شيء بالنسبة إلي الآن»
بل عليه أن يرجع إلى الله.
وأن يتوب.
وأن يتحمل المسؤولية اللازمة.
وأن يبدأ من جديد حياة الأمانة.
ولكن يجب ألا نعتبر الغفران واستعادة العلاقة شيئاً واحداً.
إذا تسبب الزنا في جرح عميق لشريك الحياة، فلا يمكن للإنسان أن يقول ببساطة:
«لقد غفر الله لي، ولذلك انتهى كل شيء الآن»
يجب احترام ألم شريك الحياة المجروح.
وهناك حاجة إلى توبة صادقة وتحمل المسؤولية.
وقد تحتاج إعادة بناء الثقة إلى وقت.
وفي بعض الحالات، قد تكون هناك حاجة إلى مساعدة روحية ومهنية أيضاً.
وفي الحالات التي يوجد فيها خداع متكرر أو أذى خطير آخر، ينبغي أيضاً أن تؤخذ سلامة شريك الحياة وكرامته بعين الاعتبار.
بصورة جادة.
نعمة الله لا تجعل الخطية أمراً بسيطاً.
بل تمنحنا القوة لنعترف بخطيتنا بأمانة، ونرجع عنها بمسؤولية.

علينا أن نفحص أيضاً قضية المحبة الأعمق من الزنا الجسدي

يشبه الكتاب المقدس أحياناً ترك الله واتباع الأصنام بالزنا.
وهذا يبين مدى اعتبار الله علاقته بشعبه علاقة محبة قائمة على العهد.
لذلك، بينما نفحص الفجور الجنسي، علينا أيضاً أن نسأل سؤالا أعمق:
«ما الذي يحبه قلبي أكثر من أي شيء آخر؟»
قد يكون المال.
وقد يكون النجاح.
وقد يكون الشرف.
وقد يكون الأبناء.

وقد تكون الأسرة
وقد يكون حتى نجاح الكنيسة والخدمة
يمكن لكل هذه الأمور أن تكون عطايا صالحة أعطها الله
لكن إذا أحببنا العطية التي أعطها الله أكثر من الله نفسه، فقد تتحول العطية إلى صنم
ولا يمكننا أيضاً أن نضع شريك حياتنا في مكان أعلى من الله
ولا أبناءنا
ولا أسرتنا
ولا الكنيسة
لذلك، في أعمق مستوى من إفراغ الفجور الجنسي، يوجد في النهاية سؤال
إلى من نتجه محبتنا؟
علينا أن نفرغ الاتجاه الخاطئ لمحبتنا، وأن نعيد توجيه محبتنا نحو الله

«مبادئ وإرشادات عملية لإفراغ» الفجور الجنسي

كيف يمكننا إذاً أن نفرغ الفجور الجنسي عملياً في الأسرة والكنيسة ومكان العمل؟

إن إفراغ الفجور الجنسي لا ينتهي بمجرد اتخاذ قرار

«لن أرتكب الزنا»

بل هو عملية نقدم فيها أعيننا وقلوبنا وعلاقاتنا وأجسادنا لله، ونتعامل بحكمة مع الأماكن والظروف التي يمكن أن تنمو فيها التجربة، ونملأ المكان الذي أفرغ من الرغبات الخاطئة بمحبة المسيح وأمانته

1. احفظ ما يدخل إلى عينيك وقلبك

افحص ما تنتظر إليه

تأمل في مقاطع الفيديو والصور التي تشاهدها مراراً، وفي الشخص الذي تستمر عينك في التوقف عنده، وفيما تبحث عنه عندما تكون وحدك، وفي الخيالات التي تكرر ها في قلبك

إذا كان هناك محتوى أو بيئة تعرف بوضوح أنها تصبح تجربة لك، فابتعد عنها بحزم

وإذا كان الأمر ضرورياً، فاجعل الوصول إليها صعباً

إن اتخاذ إجراءات عملية لتجنب الخطية ليس دليلاً على ضعف الإيمان

بل هو حكمة الإنسان الذي يعرف ضعفه

2. احفظ حدود العلاقات

قد يبدأ الفجور الجنسي في علاقة عاطفية قبل أن يتحول إلى علاقة جسدية

افحص نفسك لترى إن كنت تشارك مشاعر شخصية أكثر مما ينبغي مع شخص ليس شريك حياتك

إذا بدأت تظهر رسائل أو لقاءات تشعر أنك مضطر إلى إخفائها عن شريك حياتك، فقد تكون هذه بالفعل علامة تحذير

لا تطمئن نفسك بمجرد القول

«لم يحدث شيء»

بل عليك أن ترى إلى أين يتجه قلبك

وخاصة في علاقات الرعاية والمشورة والعمل والخدمة، علينا أن نحترم الشخص الآخر، وفي الوقت نفسه نحافظ على حدود سليمة

إذا كانت العلاقة لا تستطيع الاستمرار إلا إذا بقيت مخفية، فيجب إعادة فحص تلك العلاقة أمام الله.

3. اعتر بشريك حياتك واعتن بالحميمية الزوجية.

ينبغي للإنسان المتزوج، بدلاً من مقارنة شريك حياته بالآخرين، أن ينظر من جديد إلى شريك الحياة الذي أعطاه الله إياه.
عبر عن امتنانك.

تحدث معه.

اقضيا وقتاً معاً.

أصغ إلى احتياجاته.

احترم ما جسّد أحكما الآخر ومشاعره.

إذا كانت هناك مشكلة، فلا تتجاهلها، بل تحدث عنها بأمانة.

وإذا احتجتما إلى المساعدة، فاطلباها.

الأمانة الزوجية ليست مجرد حالة سلبية نمتنع فيها عن الزنا.

بل هي حياة إيجابية نستمر فيها في محبة شريك حياتنا واحترامه والعناية بعهد الزواج.

4. لا تخف الخطية ولا تبررها.

إذا أدركت أن رغبة خاطئة أو علاقة غير مناسبة قد بدأت، فأحضرها سريعاً أمام الله.

لا تقل:

«لم أفعل شيئاً بعد، ولذلك لا توجد مشكلة».

ولا تثق بنفسك قائلاً:

«أستطيع أن أتوقف متى شئت».

وإذا كنت قد ارتكبت الخطية بالفعل، فلا تلقِ المسؤولية على شخص آخر.

اعترف باختيارك وتب أمام الله.

ما يجب قطعه، اقطعه.

وما يجب إصلاحه، أصلحه.

وما يجب تحمله مسؤوليته، تحمّل مسؤوليته.

التوبة الحقيقية هي أن نتحول عن إخفاء الخطية ونخرج إلى النور.

5. املأ المكان الذي أفرغته بمحبة المسيح وأمانته.

إن هدف إفراغ الفجور الجنسي ليس أن نصبح أشخاصاً بلا رغبات على الإطلاق.

بل أن يستقيم اتجاه محبتنا.

العين التي كانت ترى الآخر موضوعاً للرغبة يجب أن تتحول إلى عين تنتظر إليه باحترام.

والقلب الذي كان يقارن شريك حياته بالآخرين يجب أن يتحول إلى قلب شاكر.

والقلب الذي كان يطلب إرضاء نفسه فقط يجب أن يتحول إلى محبة تطلب خير الآخر.

والقلب الذي كان يحب العالم يجب أن يتحول إلى قلب يحب الله.

وحتى عندما نكون وحدنا، علينا أن نحيا في حضور المسيح.
اقترّب من كلمة الله.

صلّ.

قدّم جسدك وقلبك لله.

اطلب معونة الروح القدس.

لا تترك المكان الذي أفرغ من الشهوة فارغاً.

املاه بمحبة المسيح.

لكن كل هذه الممارسات لا يمكن أن تتحقق بإرادتنا وحدها.

«لن أفكر بهذه الطريقة مرة أخرى».

«لن أسقط أبداً».

مثل هذه القرارات وحدها ليست كافية.

بل إن الثقة المفرطة بقوتنا قد تكون خطيرة.

نحن بحاجة إلى نعمة الله ومعونة الروح القدس.

يجب أن يحفظ الروح القدس أعيننا وقلوبنا، وأن يجعلنا ندرك الرغبات الخاطئة، وأن يساعدنا على اختيار طريق الهرب أمام التجربة.

وعندما نسقط، يجب أن يقودنا إلى ألا نختبئ، بل أن نرجع إلى الصليب.

لذلك يمكننا أن نصلي هكذا:

يا رب، افحص عيني وقلبي. أنت تعرف ما أنظر إليه وما أفكر فيه عندما لا يراني أحد».

لا تسمح لي أن أنظر إلى إنسان آخر بوصفه موضوعاً لإشباع رغباتي، بل ساعدني أن أراه إنساناً كريماً مخلوقاً على صورة الله.

ساعدني أن أفرغ الرغبات الخاطئة والعلاقات غير السليمة، وأعطني الحكمة والشجاعة للابتعاد عن أماكن التجربة.

ساعدني أن أحب شريك الحياة الذي أعطاني الله إياه وأن أحترمه، وأن أكون أميناً لعهد الزواج.

وعندما أدرك الخطية، لا تسمح لي أن أختبئ أو أقدم الأعذار، بل اجعلني أرجع إليك فوراً.

أرني ما إذا كان في قلبي شيء أحبه أكثر من الله، وساعدني أن أفرغه.

«واملاً قلبي، بعد أن أفرغه من الشهوة، بمحبة المسيح وأمانته».

إن إفراغ الفجور الجنسي لا يعني التخلي عن الحب.

بل يعني إفراغ الرغبات الخاطئة واستعادة نظام المحبة الحقيقي الذي أعطاه الله.

وإفراغ الشهوة لا يعني التخلي عن الفرح أيضاً.

بل يعني أن نجد في المسيح فرحاً أعظم وأعمق من الرغبة العابرة.

والأمانة لشريك الحياة لا تعني مجرد الامتناع عن الزنا.

بل تعني أن نحفظ عهد الزواج ونعتز به بقلوبنا وأجسادنا وحياتنا.

وفي مستوى أعمق من ذلك، تعني أن نعيد توجيه محبتنا نحو الله.

لذلك، علينا اليوم أيضاً أن نسأل أنفسنا:

«إلى ماذا أنظر؟»

«نحو مَنْ يتجه قلبي؟»

«هل يُسلب قلبي نحو شخص ليس شريك حياتي؟»

«كيف أعيش عندما لا يراني أحد؟»

«هل يوجد في قلبي شيء أحبه أكثر من الله؟»

«لمن أعتقد أن جسدي وقلبي وعلاقتي تنتمي وأنا أعيش الآن؟»

أمام هذه الأسئلة، قدّم عينيك وقلبك لله.
أفرغ ما ينبغي إفراغه.
واقطع ما ينبغي قطعه.
وارجع إلى المكان الذي ينبغي أن ترجع إليه.
ثم املا ذلك المكان الفارغ بمحبة المسيح.
يقول الفجور الجنسي:
«أشبع رغباتي»
:أما الإيمان فيعترف
«جسدي وقلبي للرب»
إن إفراغ الفجور الجنسي لا يعني إزالة الرغبة.
بل يعني إفراغ الرغبات الخاطئة وإعادة توجيه محبتنا نحو الله.
هذا هو طريق «إفراغ الفجور الجنسي» الذي ينبغي لنا أن نسلكه كل يوم.

«الفصل الحادي عشر: إفراغ» التذمر

في الفصل السابق، تأملنا في حياة إفراغ ما في داخلنا من الفجور الجنسي والرغبات الخاطئة، وإعادة توجيه محبتنا نحو الله. والآن، في الفصل الحادي عشر، نريد أن نتأمل في مشكلة أخرى تجد بسهولة مكاناً في قلوبنا وعلى شفاهنا.

إنها القلب المتذمر.

في أثناء حياتنا نتذمر في أوقات كثيرة:

«لماذا حدث لي هذا؟»

«لماذا يعاملني هذا الشخص بهذه الطريقة؟»

«لماذا تمر أسرتنا بكل هذه الصعوبات؟»

«لماذا الكنيسة هكذا؟»

«لماذا سمح الله بهذا؟»

وحتى إن لم ننطق بهذه الكلمات بشفاهنا، فقد نكرر ها في قلوبنا مرات لا تُحصى.

لكن التذمر في الكتاب المقدس لا يقتصر على قول بضع كلمات من الشكوى.

فالتذمر يستطيع أن يغيّر اتجاه أنظارنا، ويجعلنا ننسى نعمة الله، بل ويغيّر الطريقة التي ننظر بها إلى الناس والظروف.

لذلك، فإن إفراغ التذمر لا يعني مجرد الامتناع عن كلمات الشكوى.

بل يعني أن نفحص أمام الله عدم الثقة وعدم الرضا والرغبة في إلقاء المسؤولية على الآخرين، وهي أمور تكمن في جذور التذمر، وأن نفرغها ونملأ مكانها بالإيمان والشكر.

في جذور التذمر قلب لا يثق بالله

عندما ننظر إلى حياة بني إسرائيل في البرية، نرى التذمر يتكرر مراراً.

تذمروا عندما لم يكن هناك ماء.

وتذمروا عندما نقص الطعام.

وتذمروا حتى وهم واقفون أمام أرض كنعان.

ويكشف لنا تثنية 1 ما كان وراء تذمرهم.

فقد تذمر بنو إسرائيل في خيامهم قائلين:

مِنْ بُغْضَةِ الرَّبِّ إِيَّانَا أَخْرَجَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيُدْفَعَنَا إِلَى أَيْدِي الْأُمُورِيِّينَ لِيُهْلِكَنَا» (تنبيه 1:27)

يا لها من كلمات عجيبة

لم يخرجهم الله من مصر لأنه كان يبغضهم

بل خلّصهم لأنه أحبهم

لكن عدم الإيمان شوّه أفكارهم

فسرّوا محبة الله على أنها بغضة

وفسرّوا خلاص الله على أنه موت

وفسرّوا قيادة الله على أنها تخلّي عنهم

ولذلك أوضح موسى مشكلتهم قائلاً

«وَلَكِنْ فِي هَذَا الْأَمْرِ لَسْتُمْ وَاثِقِينَ بِالرَّبِّ إِلَهُكُمْ» (تنبيه 1:32)

وفي النهاية، كان في أعماق جذور تذمّرهم قلب لا يثق بالله

لم يثقوا بصلاح الله

ولم يثقوا بوعوده

ولم يثقوا بأن الله يسير أمامهم

ولذلك بدت لهم صعوبات الواقع أكبر من وعود الله

ونحن أيضاً نفعل الشيء نفسه

:عندما يبدأ التذمّر بالصعود في داخلنا، لا يكفي أن نغلق أفواهنا ونقول

«ينبغي ألا أشتكى»

بل علينا أولاً أن نسأل أنفسنا

«هل أثق بالله الآن؟»

«هل أؤمن بصلاح الله؟»

«هل أظن أن الله قد تركني؟»

«هل أؤمن بأن الله يعمل حتى في الظروف التي لا أفهمها؟»

إن إفراغ التذمّر يعني في النهاية أن نثق بالله من جديد

عدم الثقة قد يقود إلى العصيان، والعصيان إلى عدم الرضا

يقول تنبيه 1:26 عن بني إسرائيل

«لِكَيْتُمْ لَمْ تَسْأَلُوا أَنْ تَصْعَدُوا، وَعَصَيْتُمْ قَوْلَ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ»

أمرهم الله أن يصعدوا إلى كنعان

لكنهم لم يؤمنوا

ولأنهم لم يؤمنوا، لم يطيعوا

وبينما كانوا لا يطيعون، تذمّروا من الظروف التي وجدوا أنفسهم فيها

وهنا نرى مساراً معيئاً

عدم الإيمان يولد العصيان، والعصيان قد يقود إلى عدم الرضا، وعدم الرضا قد يظهر في صورة تذمر.
وبالطبع، لا نستطيع أن نقول إن كل تذمر ينشأ دائماً بهذا الترتيب.
فقد تتألم قلوبنا فعلاً لأننا تعرضنا للظلم أو عوملنا بطريقة غير عادلة.
لكن من خلال صورة إسرائيل في الكتاب المقدس، نستطيع على الأقل أن نسأل أنفسنا:
«هل سبب تذمري هو الظروف وحدها حقاً؟»
«هل لأن الأمور لم تسر كما أردت؟»
«هل لأنني متمسك بإرادتي أكثر من إرادة الله؟»
«هل لأنني لا أستطيع أن أثق بأن الله يعرف أفضل مني؟»
لا تحاول أن تصلح فقط الشفاه المتذمرة، بل افحص الجذور أيضاً أمام الله.

التذمر يجعل «مصر» الماضي تبدو جميلة

في سفر العدد 20، تذمر بنو إسرائيل على موسى بسبب مشقات البرية.
في البداية اشتكوا من الصعوبات الحاضرة.
ثم بدأوا شيئاً فشيئاً ينظرون إلى الماضي.
وأخيراً قالوا:
لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَنَا مِنْ مِصْرَ لِنَأْتِيَ بَنًا إِلَى هَذَا الْمَكَانِ الرَّدِيءِ؟ (العدد 20:5)
لم تكن مصر مكاناً جيداً لهم.
كانت المكان الذي عاشوا فيه عبيداً.
وكانت المكان الذي عانوا فيه العمل الشاق والاضطهاد.
وكانت المكان الذي سمع الله صراخهم فيه وخلصهم منه.
لكن عندما أصبحت البرية صعبة، بدأت مصر تبدو جميلة.
التذمر يستطيع حتى أن يغيّر ذاكرتنا.
فيبدو ألم الحاضر كبيراً، بينما يبدو ألم الماضي صغيراً.
وقد يحدث شيء مشابه في حياتنا اليوم.
إذا كانت حياتنا الزوجية الحالية صعبة، فقد نظن أن أيام العزوبة كانت أفضل.
وإذا كانت وظيفتنا الحالية صعبة، فقد نظن أن وظيفتنا السابقة كانت أفضل بكثير.
وإذا لم نكن راضين عن كنيستنا الحالية، فقد نتذكر الكنيسة السابقة وكأنها لم تكن تعاني أي مشكلة.
وإذا أصبحت حياة الإيمان صعبة، فقد نظن حتى أن حياتنا قبل الإيمان ببسوع كانت أكثر حرية وأفضل.
لكن الإيمان لا يعود إلى مصر الماضي.
الإيمان يتذكر من أين خَلَصَنَا اللهُ.
وينظر إلى الطريق الذي سيقودنا الله فيه إلى الأمام.
التذمر ينظر إلى مصر، أما الإيمان فينظر إلى وعد الله.

التذمر يجعلنا ننسى نعمة الله

.عبر بنو إسرائيل البحر الأحمر

.ورأوا بأعينهم كيف هزم الله جيش مصر

.وسبحوا الله

.لكن بعد وقت قصير، عندما لم يجدوا ماء، عادوا إلى التذمر

:يقول خروج 15:24

«فَتَذَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: مَاذَا نَشْرَبُ؟»

.وفي خروج 16 تذمروا بسبب الطعام

.وفي الأصحاح 17 تذمروا مرة أخرى بسبب الماء

.لقد اختبروا نعمة الله، لكنهم كلما جاءت صعوبة جديدة نسوا النعمة السابقة

.ونحن كذلك

.قد يكون الله قد استجاب لصلوات كثيرة جدًا، لكن مشكلة واحدة تحدث اليوم قد تجعلنا ننسى كل نعمته

.وقد نكون قد نلنا أشياء كثيرة، لكن بسبب شيء واحد ينقصنا، نتصرف وكأننا لم نل شيئاً

.التذمر يكبر ما ليس لدينا ويصغر النعمة التي نلناها بالفعل

.أما الشكر فيفعل العكس

.فهو يجعلنا نتذكر النعمة التي نلناها بالفعل

:لذلك عندما يصعد التذمر، علينا أن نسأل

«ما نعمة الله التي أنساها الآن؟»

«كيف قادني الله حتى الآن؟»

«ما الذي أعطاني إياه بالفعل؟»

.الشكر لا ينكر مشكلات الواقع

.بل يعترف بأنه رغم وجود المشكلات، ما زال الله إلهي

التذمر قد يجعلنا نلقي المسؤولية على الآخرين

:في تكوين 3، عندما سأل الله آدم بعد أن أخطأ، أجاب

.الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِيَ هِيَ أَعْطَتْني مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ» (تكوين 3:12)

.ألقى آدم المسؤولية على المرأة

.وإذا نظرنا بصورة أعمق، فإن قوله: «المرأة التي جعلتها معي» يكشف حتى محاولة لإلقاء المسؤولية على الله

:وأجابت حواء أيضاً

«.الْحَيَّةُ غَرَّتْني فَأَكَلْتُ»

.وبالطبع، لا ينبغي أن نختزل تكوين 3 إلى مجرد قصة تذمر بين زوج وزوجة

.لكننا نستطيع أن نرى بوضوح ميل الإنسان الخاطئ إلى لوم شخص آخر بدلاً من الاعتراف بمسؤوليته

ونحن نفعل ذلك بسهولة

«فعلت ذلك لأن شريك حياتي فعل كذا»

«أصبحت هكذا بسبب والدي»

«الكنيسة جعلت حياتي صعبة»

«ذلك الشخص هو الذي بدأ أولاً»

«لم يكن لدي خيار بسبب هذه الظروف»

قد يكون الشخص الآخر قد أخطأ فعلاً

وينبغي التعامل بوضوح مع مسؤوليته

لكن خطأ شخص آخر لا يزيل مسؤوليتي عن الخطيئة التي ارتكبتها أنا

:الإنسان التائب يفحص نفسه أولاً

«يا رب، ما الذي أخطأت فيه؟»

«عمّ ينبغي أن أتوب؟»

«ما الذي ينبغي أن أصلحه؟»

إفراغ التذمّر لا يعني تحميل أنفسنا مسؤولية كل مشكلة

بل يعني ألا نهرب من مسؤوليتنا بإلقاء اللوم على الآخرين

التذمّر قد يمنعنا من سماع صوت الله

يقول مزمور 106:25 عن بني إسرائيل

«بَلْ تَذَمَّرُوا فِي خِيَامِهِمْ. لَمْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِ الرَّبِّ»

يظهر التذمّر وعدم سماع صوت الرب معاً

:عندما يسيطر علينا التذمّر، تصبح أفكارنا نحن عالية جداً

«لماذا ليس لدي إلا هذا؟»

«لماذا أنا وحدي الذي أتعب؟»

«لماذا ذلك الشخص هكذا؟»

«لماذا لا يفعل الله شيئاً؟»

عندما يمتلئ القلب بهذه الأفكار، لا يبقى مجال لسماع كلمة الله

تبدو المشكلة أكبر من وعد الله

ويبدو ما ينقصنا أكبر من نعمة الله

ويصبح ما نريده نحن أهم مما فعله الله

:لذلك، عندما يصعد التذمّر، علينا أن نتوقف أمام الله

«يا رب، لماذا أنتذمّر الآن؟»

«ما الذي لا أستطيع أن أؤمن به؟»

«ما الذي لا أشعر بالرضا عنه؟»

«يا رب، ماذا تقول لي الآن؟»

.لا تكرر صوت التذمر فقط، بل استمع من جديد إلى الكلمة

عندما نحمل تذمرنا إلى الله يمكن أن يتحول إلى صلاة

.نحتاج هنا إلى تمييز مهم جدًا

.إفراغ التذمر لا يعني ألا نخبر الله بالآلما وأسللنا

.في المزامير صلوات كثيرة يسكب فيها الناس آلامهم وضيقتهم بأمانة أمام الله

«يسألون: «لماذا؟»

.ويكون

.ويتحدثون عن الظلم

.ولا يخفون ألمهم

.الإيمان ليس التظاهر بأن شيئاً لم يحدث

.وليس التظاهر بالابتسام ونحن حزاني

:وليس أن نقول ونحن في الضيق

«ليس لدي أي مشكلة»

.الفرق هو في المكان الذي نحمل إليه قلوبنا

.إذا واصلنا نشر شكوانا بين الناس، فقد تتحول إلى نعمة وانقسام

.وإذا كررناها ونميناها في قلوبنا، فقد تتصلب إلى كراهية وتذمر

:لكن إذا حملناها إلى الله، يمكن أن تصبح صلاة

«يا رب، أنا متعب جدًا الآن»

«لا أفهم هذا الأمر»

«قلبي يتألم بسبب ذلك الشخص»

«وأنا أيضًا غاضب»

«لا أعرف لماذا حدث هذا»

.تحدث إلى الله بأمانة

.لكن لا تتوقف عند ذلك

.افحص قلبك أمام الكلمة

.واطلب إرادة الله

.تعال إلى الله حاملاً تذمرك، لكن لا تعد وأنت ما زلت تحتضن التذمر نفسه في قلبك

«لا ينبغي أن نسمي كل طرح لمشكلة» تذمرًا

.هناك حقيقة مهمة أخرى يجب أن نتذكرها عند التعامل مع التذمر

ليس كل عدم رضا أو طرح لمشكلة تدمرًا خاطئًا.
في أعمال الرسل 6، ظهرت مشكلة حقيقية داخل الكنيسة الأولى.
كانت أرامل اليهود الهيلينيين يُهملن في الخدمة اليومية.
لذلك اشتكى الهيلينيون على العبرانيين.
لكن الرسل لم يقولوا:
«أنتم تشتكون لأن إيمانكم ضعيف، فاصمتوا»
بل فحصوا ما إذا كانت هناك مشكلة حقيقية.
ثم أصلحوا هيكل الخدمة.
وأقاموا سبعة رجال ممثلين من الروح القدس والحكمة ليهتموا بهذه الخدمة، بينما تفرغ الرسل أكثر للصلاة وخدمة الكلمة.
ونتيجة لذلك، نمت كلمة الله وكثر عدد التلاميذ.
كان يمكن لصوت الشكوى أن يصبح شرارة تهدم الجماعة، لكن عندما فحص القادة المشكلة الحقيقية الموجودة فيه وأصلحوها، أصبح فرصة.
لبناء كنيسة أكثر صحة.
لذلك، علينا أن ننظر في الاتجاهين.
من يطرح الشكوى عليه أن يفحص قلبه أمام الله، ومن يسمعها عليه أيضًا أن يفحص تقصيره أمام الله.
لا ينبغي للمتكلم أن يلبس كل عدم رضا ثوب البر.
«ولا ينبغي للمستمع أن يمنع كل طرح لمشكلة بمجرد تسميته «تدمرًا»
«هل توجد في هذه الكلمات مشكلة حقيقية تحتاج إلى إصلاح؟»
«هل أسمى هذا تدمرًا فقط لأنني لا أريد سماعه؟»
«ماذا يرينا الله من خلال هذه المشكلة؟»
يجب أن نكون قادرين على طرح هذه الأسئلة.

في الأسرة، استمع إلى القلب وراء كلمات التدمر

الأسرة أيضًا من أكثر الأماكن التي يمكن أن يتراكم فيها التدمر بسهولة.
قد يفكر الزوج:
«زوجتي لا تحترمني»
وقد تفكر الزوجة:
«زوجي لا يحبني»
وقد يتدمر الوالدان من الأبناء، ويتدمر الأبناء من الوالدين.
المشكلة هي أنه عندما يتكرر التدمر، نبدأ بسماع الجراح بدلًا من سماع كلمات بعضنا بعضًا.
عندما يعبر شريك الحياة عن عدم رضاه، قد نرغب فورًا في الرد:
«وأنت أيضًا كذلك»
«أنت الذي بدأت أولًا»
«أنا لم أفعل شيئًا خاطئًا»

لكننا أحياناً نحتاج إلى الاستماع أولاً

«لماذا أصبح قلبك متعباً إلى هذه الدرجة؟»

«ما الذي لم أنتبه إليه؟»

«ما الذي أخطأت فيه؟»

«ما الذي ينبغي أن نصلحه أمام الله؟»

هذا لا يعني أن كل ما يقوله شريك الحياة صحيح

لكن ينبغي أن نصغي لنرى إن كان هناك ألم حقيقي وراء هذه الكلمات

وإذا أخطأنا، فعلينا أن نعتذر

ينبغي للزوج أن يستطيع الاعتذار لزوجته

وينبغي للوالدين أن يستطيعا الاعتذار لأبنائهما

الهدف ليس الانتصار على كلمات الشكوى، بل استعادة العلاقة

وفي الوقت نفسه، لا ينبغي أن نتوقع من شريك الحياة أو الأسرة أن يشبعوا كل احتياجاتنا

فالفرض النهائي يأتي من الله

أحب أسرتك، لكن لا تطلب منها أن تملأ المكان الذي لا يستطيع أن يملأه إلا الله

على القائد أن يستمع أولاً بدلاً من الدفاع عن نفسه أمام صوت التذمر

يمكن أن يُسمع صوت التذمر داخل الكنيسة أيضاً

وقد يتألم قلب القائد عندما يسمع مثل هذه الكلمات

«لقد خدمت بكل هذا الاجتهاد»

«لماذا لا يقدر أحد ما أفعله؟»

«لماذا هؤلاء الناس غير شاكرين؟»

قد تأتي مثل هذه الأفكار

لكن إذا اعتبر القائد كل طرح لمشكلة هجوماً شخصياً عليه، فقد يفشل في سماع كلام يحتاج فعلاً إلى سماعه

عندما سمع الرسل في أعمال 6 صوت الشكوى، فحصوا المشكلة أولاً

وهذا لا يعني أن كل نقد صحيح

فقد توجد كلمات تخالف الحقائق

وقد يوجد نقد غير عادل

لكن على القائد أن يسأل أولاً أمام الله

«يا رب، هل هناك شيء ينبغي أن أراه من خلال هذه الكلمات؟»

«هل هناك شيء ينبغي أن نصلحه؟»

«هل هناك شخص لم أنتبه إليه؟»

وإذا جرح القائد بكلمات غير عادلة، فعليه أن يحمل جرحه إلى الله بدلاً من نشره بين بقية المؤمنين

علينا أن نحذر من أن يتحول جرح القائد إلى جرح الجماعة كلها

ليس من الحكمة قبول كل شكوى بلا تمييز، لكن ليس من الحكمة أيضًا إغلاق الباب أمام كل شكوى.
علينا أن نميّز أمام الكلمة، ونصلح ما يحتاج إلى إصلاح، ونسلم لله ما ينبغي تسليمه إليه.

علينا أن ننمي عادة الشكر بدلًا من التذمر

يقول فيلبي 2:14:

«افعلوا كُلَّ شَيْءٍ بِلاَ دَمَدَمَةٍ وَلاَ مُجَادَلَةٍ»

إذا كررنا التذمر، يصبح عادة

في البداية قد تكون شكوى من أمر واحد، لكننا قد نصبح لاحقًا أشخاصًا يشتكون من كل شيء

حتى عندما يحدث شيء جيد، نرى أولًا ما ينقص

ونرى عيوب الناس قبل مزاياهم

ونبحث عما يمكن أن نشكرك منه قبل أن نبحث عما يمكن أن نشكر عليه

لذلك، لكي نفرغ التذمر، علينا أيضًا أن نتدرب عمدًا على الشكر

:عندما تفتح عينيك في الصباح، اشكر

«شكرًا لك لأنك أعطيتني الحياة اليوم أيضًا»

:اشكر في الأسرة

«شكرًا لأنك أعطيتني أسرة أعيش معها»

:اشكر في الكنيسة

«رغم أننا لسنا كاملين، شكرًا لأنك أعطيتني جماعة أعبدك معها»

:واشكر في مكان العمل

«شكرًا لأنك أعطيتني اليوم فرصة العمل والقوة له»

:واعترف حتى في الصعوبة

«يا رب، أنا لا أفهم الآن، لكنني أؤمن بأنك معي حتى في هذا الظرف»

الشكر لا يجمل الواقع بصورة زائفة

.ولا ينكر الألم

الشكر ليس اعترافًا نقدمه لأن كل شيء سار كما أردنا

.بل هو اعتراف إيمان يتمسك بحقيقة أن الله صالح حتى عندما لا تفسر الأمور كما نريد

بدلًا من التذمر، كن عابِدًا يعترف بسيادة الله

اختر أبو ب في يوم واحد أَلَمًا هائلًا

فقد ممتلكاته

.وفقد أبنائه

.وكان حزنه حقيقيًا

يقول أيوب 1:20 إنه شق جيبته وجز شعر رأسه
لم يتظاهر بأنه لا يتألم
لكن في وسط ألمه خثر أمام الله وسجد
وهذا مهم
الإيمان لا يعني غياب الحزن
ولا يعني غياب الأسئلة
ولا يعني فهم كل الظروف
الإيمان هو ألا نترك الله حتى في الظروف التي لا نفهمها
ونحن أيضًا نستطيع أن نصلي:
«يا رب، أنا لا أفهم الآن، لكنني أثق بك»
«حتى إن لم تسر الأمور كما أريد، فالله صالح»
«حتى إن كنت لا أعرف كل الأسباب، فأنا أؤمن بأنك تعرف»
«لن أبقى في التذمر، بل سأعبد الله»
العابد الحقيقي ليس من تحققت كل الأمور بحسب إرادته
بل هو من يتمسك بسيادة الله وصلاحه حتى عندما لا تسير الأمور بحسب إرادته

«مبادئ وإرشادات عملية لإفراغ»التذمر

كيف يمكننا إذاً أن نفرغ التذمر في حياتنا اليومية؟

إفراغ التذمر لا ينتهي بقرار واحد

كلما صعد التذمر، نحتاج إلى تدريب أنفسنا على فحص قلوبنا، وحملها إلى الله، وإفراغ عدم الثقة وعدم الرضا، وملء ذلك المكان بالإيمان والشكر.

1. عندما يصعد التذمر، افحص قلبك أولاً.

عندما يحدث شيء يدفعنا إلى التذمر، يسهل علينا أن نبحت أولاً عن خطأ الشخص الآخر.

لكن اسأل أولاً:

«لماذا أُنذمر الآن؟»

«هل لأن ما أردته لم يتحقق؟»

«هل بسبب الخوف؟»

«هل بسبب المقارنة؟»

«هل بسبب جرح في قلبي؟»

«هل لأنني لا أثق بالله؟»

حتى إن أخطأ الشخص الآخر، افحص قلبك أنت أولاً أمام الله.

إذا أخطأت، فاعترف.

وإذا كان هناك ما يحتاج إلى توبة، فتب.

يمكن للحظة التذمر أن تصبح، بدلاً من وقت نبحت فيه فقط عن أخطاء الآخرين، وقتاً نفحص فيه قلوبنا أمام الله.

2. احمل تذمرك إلى الله قبل أن تنتشره بين الناس.

عندما يتألم القلب، من الطبيعي أن نرغب في الحديث إلى شخص ما.

وفي بعض الأحيان نحتاج أيضاً إلى طلب المساعدة والمشورة من شخص موثوق به.

لكن لا ينبغي أن نكرر شكوانا أمام كثيرين محاولين جمع الناس إلى جانبنا.
فهذا قد ينشر عدم الثقة والانقسام في الجماعة بدلاً من حل المشكلة.
احمل الأمر إلى الله أولاً.
وتحدث إليه بأمانة.
يمكنك أن تبكي.
ويمكنك أن تخبره بصيقلك.
لكن افحص قلبك أيضاً أمام الكلمة.
وعندما يكون الحوار ضرورياً، فليكن حواراً يهدف إلى الحل، لا نميمة.
لا تنتشر تذمرتك بين الناس، بل احمله إلى الله وحوله إلى صلاة.

3. لا تجمل «مصر» الماضي، بل تذكر النعمة التي نلتها حتى الآن.

عندما يكون الحاضر صعباً، قد يبدو الماضي أفضل.
لكن لا تسمح للتذمر بأن يشوه الماضي.
تذكر من أين خلّصك الله.
وتذكر النعمة التي قادك بها حتى الآن.
وتذكر الصلوات التي استجاب لها.
وتذكر كيف أمسك بك في الأوقات الصعبة.
وصلّ هكذا:
يا رب، أفرغ مني الرغبة في العودة إلى مصر الماضي. ساعدني أن أنظر إليك، أنت الإله الذي ما زلت معي الآن، وأن أثق بالطريق الذي
«ستقودني فيه»
التذمر يتمسك بالماضي، أما الإيمان فيتمسك بوعد الله.

4. عندما تطرح مشكلة، اطلب الاسترداد بدلاً من الإدانة.

إذا كان هناك خطأ حقيقي، فهناك أوقات يجب فيها أن نتكلم.
وهذا صحيح في الأسرة والكنيسة ومكان العمل.
إفراغ التذمر لا يعني أن نتحمل الظلم بلا حدود أو أن نصمت دائماً.
لكن عندما نطرح مشكلة، علينا أن نفحص هدفنا:
«هل أريد مهاجمة هذا الشخص أم حل المشكلة؟»
«هل أحاول جمع الناس إلى جانبي أم أريد أن أتحدث بأمانة مع الشخص المعني؟»
«هل أريد إسقاط الطرف الآخر أم أريد أن تصبح العلاقة والجماعة أكثر صحة؟»
وعلى من يسمع المشكلة أيضاً أن يسأل قبل أن يدافع عن نفسه:
«هل في هذه الكلمات شيء ينبغي أن أسمعه؟»

على المتكلم أن يفحص قلبه، وعلى المستمع أن يفحص المشكلة الحقيقية.
وعندما يحدث الأمران معًا، يمكن لصوت الشكوى أن يصبح فرصة للتوبة والتغيير.

5. املًا مكان التذمر بالشكر والإيمان

لا يكفي أن نفرغ التذمر فقط.

المهم هو ما نملأ به ذلك المكان.

أفرغ عدم الثقة واملأه بالإيمان.

أفرغ عدم الرضا واملأه بالقناعة.

أفرغ اللوم واملأه بالمحبة.

أفرغ الخوف واملأه بالصلاة.

أفرغ التذمر واملأه بالشكر والتسبيح.

وفي نهاية كل يوم، اسأل نفسك:

«بسبب ماذا تذمرت اليوم؟»

«من الذي لمته؟»

«ما الذي كان في جذور ذلك التذمر؟»

«هل حملته إلى الله؟»

«ما الذي ينبغي أن أتوب عنه؟»

«ما الذي أستطيع أن أشكر الله عليه اليوم؟»

عندما نكرر هذه الأسئلة أمام الله، ستتغير قلوبنا شيئًا فشيئًا.

لكننا لا نستطيع إفراغ التذمر بقوة إرادتنا وحدها.

عندما يكون الألم عميقًا، والشعور بالظلم كبيرًا، أو عندما لا تتغير الظروف حتى بعد انتظار طويل، تهتز قلوبنا بسهولة.

لذلك نحتاج إلى معونة الروح القدس.

ينبغي للروح القدس أن يثير قلوبنا ويرينا عدم الثقة وعدم الرضا الكامنين في جذور التذمر.

وينبغي أن يذكرنا بنعمة الله التي نسيناها.

وأن يجعلنا نسمع كلمة الله من جديد، وأن يسندنا حتى نثق بالله في الظروف التي لا نستطيع فهمها.

لذلك نستطيع أن نصلي:

يا رب، أرني التذمر الموجود في قلبي. لا تسمح لي أن ألوم الناس والظروف بينما أفشل في رؤية عدم الثقة وعدم الرضا الموجودين في»

داخلي. ساعدني أن أعترف بأمانة بما أخطأت فيه وأن أتوب عنه، ولا تجعلني أيضًا أحمل مسؤولية أخطاء الآخرين وكأنها مسؤوليتي. بدلًا

من نشر ألمي وخيبة ألمي بين الناس، ساعدني أن أحملهما إليك أولًا. ذكرني بالنعمة التي نسيبتها، ولا تجعلني أشتاق إلى مصر الماضي. حتى

«في الظروف التي لا أفهمها الآن، ساعدني أن أثق بصلاحك، واملأ قلبي الذي أفرغ من التذمر بالإيمان والشكر والتسبيح

.إفراغ التذمر لا يعني أن نعيش وكأن لا توجد أية مشكلة

.ولا يعني إخفاء الألم

.ولا يعني الصمت دائمًا عندما نتعرض للظلم

إفراغ التذمّر يعني أن نحمل ألمنا وعدم رضانا بأمانة إلى الله، من دون أن نسمح لذلك الألم بأن يتصلب إلى عدم ثقة ولوم تجاه الله والناس. ويعني أن أصلح ما ينبغي لي إصلاحه، وأن أقول بمحبة للشخص الآخر ما ينبغي قوله، وأن أسلم لله ما ينبغي تسليمه إليه.

التذمّر يقول:

«لماذا لا تسيّر الأمور كما أريد؟»

أما الإيمان فيعترف:

«حتى إن كنت لا أفهم الآن، فسأثق بالله»

التذمّر يجعلنا ننظر إلى ما ينقصنا.

أما الشكر فيجعلنا نتذكر النعمة التي نلناها بالفعل.

التذمّر يجعلنا ننظر إلى مصر الماضي.

أما الإيمان فينظر إلى الطريق الذي سيقودنا الله فيه.

التذمّر يبحث أولاً عن مسؤولية الآخرين.

أما التوبة فتجعلنا نفحص أنفسنا أولاً أمام الله.

لذلك، إذا صعد التذمّر في قلبك اليوم، فلا تخفه ولا تنتشره بين الناس.

احمله إلى الله.

وافحص قلبك أمام الكلمة.

وتب عمّا يحتاج إلى توبة.

وأصلح ما يحتاج إلى إصلاح.

وتذكر ما يمكنك أن تشكر الله عليه.

ثم ثق بالله من جديد.

التذمّر يسأل:

«لماذا لا تسيّر الأمور كما أريد؟»

أما الإيمان فيسأل:

«كيف أستطيع أن أثق بالله حتى في هذا الظرف؟»

إن إفراغ التذمّر وملء مكانه بالإيمان بالله والشكر والتسبيح هو طريق «إفراغ التذمّر» الذي ينبغي لنا أن نسلكه كل يوم.

«الفصل الثاني عشر: إفراغ القلب من «الحسد»

في الفصل السابق، تأملنا في كيفية إفراغ قلوبنا من التنذر. فالتنذر يمنعنا من رؤية ما أعطانا الله إياه بالفعل، ويجعل أنظارنا تتجه إلى ما لم نحصل عليه وإلى ما يملكه الآخرون. ولكن عندما تظل أنظارنا معلقة بالآخرين مدة طويلة، يمكن لخطيئة أخرى أن تتجذر بسهولة في قلوبنا. وهذه الخطيئة هي الحسد.

الحسد هو الشعور الذي ينشأ عندما ننظر إلى ما يملكه الآخرون ونتنذر بسبب ما لا نملكه نحن، وعندما نشعر بعدم الارتياح لأن الآخرين ينالون التقدير والمحبة والمديح. وقد يبدو الأمر في البداية مجرد مقارنة بسيطة.

«لماذا ينجح ذلك الشخص أكثر مني؟»

«لماذا ينال ذلك الشخص تقديرًا أكثر مني؟»

«لماذا يملك ذلك الشخص ما لا أملكه أنا؟»

«لماذا يبدو أن الله أعطى ذلك الشخص أكثر مما أعطاني؟»

ولكن عندما نستمر في تغذية هذه المقارنات في قلوبنا، يأتي وقت نشعر فيه بأن نجاح الآخر هو فشلنا نحن. ويصبح فرح الآخر حزنًا لنا.

وعندما يُمدح شخص آخر، نشعر وكأننا نحن قد أهملنا. وفي النهاية، قد نصل حتى إلى كراهية شخص لم يفعل بنا أي شر.

وأنا أيضًا لم أكن بمنأى عن هذا النوع من الحسد. فقد مررت بوقت شعرت فيه في قلبي بالكراهية تجاه أخ في الإيمان لم يفعل بي شيئًا سيئًا. ولم يكن قد ألحق بي أي أذى خاص. ومع ذلك، عندما رأيته ينال تقديرًا ومديحًا أكثر مني، شعرت بعدم الارتياح.

وعندما أنظر إلى الأمر الآن، أدرك أن المشكلة لم تكن في ذلك الشخص.

بل كانت المشكلة في قلبي أنا.

كنت أريد أن أحظى بالتقدير.

كنت أريد أن أرفع.

كنت أريد أن أبدو أفضل من الآخرين.

ولذلك، عندما كان شخص آخر يُرفع، كنت أشعر وكأنني أنا الذي أخفض.

وفي مركز هذا القلب كان الكبرياء.

إن الحسد يبدأ في النهاية بالمقارنة، وينمو إلى كبرياء، ثم يثمر كراهية. لذلك، لكي نفرغ قلوبنا من الحسد، يجب علينا، قبل أن نحاول تغيير

الآخرين، أن نفحص قلوبنا أولاً أمام الله.

«لماذا لا أستطيع أن أفرح بنجاح ذلك الشخص؟»

«لماذا أشعر بعدم الارتياح عندما يُمدح ذلك الشخص؟»

«لماذا أظن أنني أستحق تقديرًا أكبر؟»

علينا أن نكون صادقين أمام هذه الأسئلة.

الحسد يغير الطريقة التي ننظر بها إلى الناس

من أوضح الشخصيات التي تكشف لنا مدى خطورة الحسد شاول.
فعندما عاد داود بعد أن هزم جليات، غنّت نساء إسرائيل:
«ضرب شاول أَلوفه وداود ربواته» (1 صموئيل 18:7).
وعندما سمع شاول هذا الكلام، استاء جدًا، لأنه ظن أن الشعب يقدّر داود أكثر منه.
ويقول الكتاب المقدس:
«فكان شاول يعاين داود من ذلك اليوم فصاعدًا» (العدد 9).
حتى ذلك الوقت، كان داود أمينًا لشاول.
كان يعزف له على العود.
وكان يحارب من أجل إسرائيل.
وكان قد خاطر بحياته في مواجهة جليات.
ولكن عندما دخل الحسد إلى قلب شاول، تغيّرت نظرته إلى داود.
فصار الخادم الأمين يبدو له منافسًا.
وصار الرجل الذي يستخدمه الله يبدو له شخصًا يحاول أن يسلب منه مكانته.
الحسد لم يغيّر داود.
بل غيّر عيني شاول.
الحسد لا يغيّر الحقائق، لكنه يغيّر العيون التي ننظر بها إلى تلك الحقائق.
ولهذا السبب فإن الحسد خطير.
قد لا نكره شخصًا لأنه فعل شيئًا سيئًا.
بل قد نكرهه لأن أموره تسير على ما يرام.
وقد نشعر بعدم الارتياح لأن شخصًا آخر محبوب.
وقد نبداً بالنفور من شخص لأنه يحظى بالتقدير.
وعندما نرى شخصًا آخر ينجح، قد نشعر وكأننا نحن قد انخفض شأننا.
وعندما يحدث ذلك، قد لا تكون المشكلة في ذلك الشخص.
بل قد تكون في قلوبنا نحن.

الحسد يحوّل الناس في قلوبنا إلى منافسين

عندما يدخل الحسد إلى قلوبنا، يمكن حتى للأخ أن يصبح منافسًا.
وقد يصبح شريكنا في الخدمة منافسًا.
وقد يصبح الصديق منافسًا.
وحتى أحد أفراد الأسرة قد يصبح منافسًا.
قتل قايين أخاه الأصغر هابيل.
ولم يكن ذلك لأن هابيل قد أساء إليه.
وتشرح 1 يوحنا 3:12 سبب قتل قايين لأخيه:
«كانت أعماله شريرة وأعمال أخيه بارّة».
لقد أزعج بر هابيل قلب قايين.
فتحولت المقارنة إلى حسد، وتحول الحسد إلى كراهية، وأخيرًا ظهرت الكراهية في صورة قتل.
قد لا نصل نحن إلى مثل هذا الفعل المتطرف.
لكننا قد نستبعد شخصًا في قلوبنا.
وقد نتمنى فشله.

و. وعندما نسمع خيرًا سيئًا عنه، قد يفرح جزء من قلوبنا سرًا.
و. وعندما نكتشف فيه ضعفًا، قد نشعر بالارتياح.
«إذًا، هو أيضًا ليس عظيمًا كما يبدو».
إذًا كان فينا مثل هذا الشعور، فعلينا أن نفحصه أمام الله.
المحبة لا تفرح بفشل الآخرين.
والمحبة لا تهدم الآخرين لكي ترفع نفسها.
لذلك، فإن إفراغ القلب من الحسد لا يعني مجرد التوقف عن حسد الآخرين.
بل يعني أن نفرغ أمام الله أيضًا ذلك القلب الذي يعتبر الآخر منافسًا، وينزعج من فرحه، ويتمنى في الخفاء فشله.
الحسد يجعلنا ننسى الرسالة التي انتمنا الله عليها
لم تتوقف مأساة شاول عند مجرد كراهيته لداود.
فبسبب الحسد نسي الرسالة التي انتمنا الله عليها.
كان شاول ملك إسرائيل.
وكان ينبغي له أن يرعى الشعب الذي انتمنا الله عليه ويحمي الأمة.
ولكن عندما وقع في أسر الحسد تجاه داود، بدأ تركيزه ينصب على داود أكثر من الفلسطينيين.
فحرك جنوده للقبض على داود.
وأنفق وقته وقوته في مطاردة داود.
وبينما كان يثبت عينيه على شخص آخر، فقد التركيز على المهمة التي انتمنا الله عليها.
وقد يحدث الشيء نفسه معنا.
قد نستمر في النظر إلى خدمة راع آخر، فننسى الكنيسة التي انتمنا الله عليها.
وقد ننظر إلى أعمال الآخرين ونجاحاتهم، فنفشل في الأمانة في العمل الذي أوكل إلينا.
وقد نقارن أبناءنا بأبناء العائلات الأخرى، فنفشل في رؤية الجمال في الأبناء الذين انتمنا الله عليهم.
وقد نحسد مواهب شخص آخر، فنفشل في استخدام المواهب التي أعطانا الله إياها.
الحسد يجعلنا ننظر كثيرًا إلى حياة الآخرين.
وبذلك قد نفقد الحياة التي ينبغي لنا نحن أن نعيشها.
لذلك يجب أن نغير السؤال.
بدلاً من أن نسأل:
«لماذا ينجح ذلك الشخص إلى هذا الحد؟»
علينا أن نسأل:
«ما الذي انتمنني الله عليه اليوم؟»
لا بأس إن بدا أن شخصاً آخر يقوم بأعمال أعظم مني.
ولا بأس إن نال شخص آخر مديحاً أكثر مني.
ولا بأس إن بدت مواهب شخص آخر أكثر بروزاً من مواهبي.
لأن الله انتمن ذلك الشخص على شيء، وانتمنني أنا أيضًا على شيء.
لا تقارن.
كن أميناً.
لا تنافس.
أتمم الرسالة التي انتمنك الله عليها.

يجب أن نفحص رغبتنا في نيل تقدير الناس

في أعماق حسد شاول كانت توجد أيضًا رغبة في نيل تقدير الناس.

فحتى عندما وبخه صموئيل بسبب خطيته، طلب شاول منه

أكرمني الآن أمام شيوخ شعبي وأمام إسرائيل» (1 صموئيل 15:30)»

إن الرغبة في أن يقدّرنا الناس ليست في ذاتها خطيئة دائماً

فنحن جميعاً نرغب في أن نُحب وأن يُعترف بنا

لكن المشكلة تبدأ عندما يصبح تقدير الناس أهم من الله

إذا كنت لا أفرح إلا عندما يمدحني الناس، وإذا شعرت بعدم الارتياح عندما يُمدح شخص آخر، وإذا لم أشعر بالرضا إلا عندما يصبح اسمي معروفاً، وإذا تألمت عندما ينال شخص آخر تقديرًا أكثر مني، فعلياً أن أفحص هذا القلب أمام الله

بلقد أرانا يسوع طريقاً مختلفاً تماماً

فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً» (فيلبي 2:5)»

أفرغ يسوع نفسه وأخذ صورة عبد

ولم يُنقص من شأن الآخرين لكي يرفع نفسه

لذلك يحثنا بولس

لا شيئاً بتحزب أو بعجب، بل بتواضع، حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم» (العدد 3)»

هنا نجد الطريق إلى إفراغ القلب من الحسد

علينا أن نفرغ قلوبنا من الرغبة في أن تُرفع، وأن نحضن تواضع المسيح

وبدلاً من أن نسأل

«إلى أي مدى يقدّرني الناس؟»

علينا أن نسأل

«إلى أي مدى أعيش بأمانة أمام الله؟»

حتى إن لم يعرف الناس، فالله يعرف

وحتى إن لم يرَ الناس، فالله يرى

وحتى إن لم يمدحنا الناس، فالله يعرف أمانتنا

مثل آساف، حوّل نظرك من الناس إلى الله

شخص آخر يكشف لنا مشكلة الحسد بصدق كبير هو آساف

ففي مزمور 73 يعترف آساف

«لأنني غرت من المتكبرين إذ رأيت سلامة الأشرار» (مزمور 73:3)»

اضطرب آساف عندما رأى الأشرار ينجحون

وبدا له أن الذين لا يبالون بالله يزدهرون أكثر منه، مع أنه كان يحاول أن يعيش بالإيمان بالله

ولذلك كاد أن يسقط

لكن بعد ذلك حدث تحول حاسم

حتى دخلت مقدس الله وانتبهت إلى آخرتهم» (العدد 17)»

لم تكن ظروف آساف هي التي تغيّرت أولاً

بل تغيّرت نظراته

العينان اللتان كانتا مثبتتين على الناس عادتا إلى الله

وفي النهاية اعترف

من لي في السماء؟ ومعك لا أريد شيئاً في الأرض» (العدد 25)»

هذا طريق مهم لإفراغ القلب من الحسد

عندما ينشأ الحسد، لا تنتظر أكثر إلى الشخص الآخر

بل انظر إلى الله

لا تستمر في مقارنة من يملك أكثر

بل انظر إلى ما أعطاك الله

لا تحسب من ينال مديحاً أكثر.
بل انظر إلى العمل الذي ائتمنك الله عليه.
لا تقارن من لديه خدمة أكبر.
بل كن أميناً للرسالة التي ائتمنك الله عليها اليوم.
إفراغ القلب من الحسد يعني تحويل النظر الذي كان مثبتاً على الآخرين إلى الله.

افرح بالنعمة التي أعطاه الله للآخرين

الحسد يجعل فرح الآخر حزناً لي.
أما المحبة فتفعل العكس.
المحبة تفرح مع فرح الآخرين.
عندما يُمدح شخص آخر، هنئه.
وعندما يحقق شخص آخر نتائج جيدة، افرح معه.
وعندما ينجح أبناء شخص آخر، باركهم.
وعندما تنمو كنيسة أخرى ويستخدم الله راعياً آخر بصورة مباركة، اشكر الله.
وعندما يحصل زميل في العمل على ترقية، هنئه.
وعندما تزدهر أعمال صديق، افرح معه.
في البداية، قد لا يتبع قلبك كلماتك.
قد تهني بشفتيك بينما لا يزال قلبك يشعر بعدم الارتياح.
وعندما يحدث ذلك، أحضر هذا القلب أيضاً أمام الله.
يا الله، أرني هذا القلب الذي لا يستطيع أن يفرح بصدق بالنعمة التي أعطيتها لهذا الشخص. أفرغ مني قلب المقارنة هذا. ساعدني لكي أفرح.
«بالنعمة التي منحتها له»
وصلّ من أجل ذلك الشخص
«يارب، استخدم هذا الشخص أكثر فأكثر»
«بارك هذه العائلة»
«ليمتد ملكوتك أكثر من خلال خدمة هذا الشخص»
عندما نبدأ بمباركة الشخص الذي نحسده، تبدأ قلوبنا أيضاً بالتغير شيئاً فشيئاً.
الحسد يسأل:
«لماذا أعطيت هذا لذلك الشخص؟»
أما المحبة فتعترف:
«شكراً لأنك منحت نعمتك لذلك الشخص أيضاً»

أفرغ قلبك من الحسد وتعلّم الشكر

يصعب على الشكر أن يجد مكاناً في قلب ممتلئ بالحسد.
وذلك لأن الحسد ينظر دائماً إلى ما لا أملكه.
«لماذا لا أملك هذا؟»
«لماذا تحدث الأمور الجيدة دائماً لذلك الشخص؟»
«لماذا نال ذلك الشخص أكثر مني؟»
عندما تمتلئ قلوبنا بهذه الأفكار، لا نستطيع أن نرى النعمة التي أعطانا الله إياها بالفعل.
لذلك، لكي نفرغ قلوبنا من الحسد، يجب أن نتعلم الشكر.
اشكر الله من أجل العائلة التي أعطاك إياها.

اشكره من أجل الكنيسة التي انتمنك عليها.
اشكره من أجل المواهب التي منحك إياها.
اشكره من أجل فرصة العمل.
اشكره من أجل الأشخاص الذين يسرون معك.
اشكره من أجل النعمة التي قادك بها حتى اليوم.
وفوق كل شيء، اشكره من أجل نعمة الخلاص بيسوع المسيح، ومن أجل أنه جعلنا أبناء له.
الحسد يضخم ما ينقصنا.
أما الشكر فيجعلنا نرى ما قد نلناه.
الحسد يضخم النقص.
والشكر يضخم النعمة.
الشكر لا يجعل ما نفتقده يظهر فجأة.
لكنه يفتح أعيننا لنرى النعمة التي سبق أن نلناها.

لا تصبح أنت أيضاً شخصاً حسوداً لأن شخصاً آخر يحسدك

أحياناً لا أكون أنا الذي أحسد شخصاً آخر.
بل قد يكون شخص آخر هو الذي يحسدني.
حسد إخوة يوسف يوسف.
وبسبب محبة أبيهم له وبسبب أحلام يوسف، نشأت الكراهية في قلوبهم، وفي النهاية باعوا يوسف ليؤخذ إلى مصر.
ما فعلوه كان شراً واضحاً.
لكن شر الإنسان لم يستطع أن يهدم خطة الله.
وبعد سنوات قال يوسف لإخوته:
«أرسلني الله قدامكم ليستبقي لكم بقية في الأرض ويحييكم لنجاة عظيمة» (تكوين 45:5).
لم يقل يوسف إن الشر الذي فعله إخوته كان خيراً.
لكنه رأى عناية الله أعظم من شر إخوته.
وهذا يعلمنا درساً مهماً.
قد يحسدني شخص.
وقد يسيء شخص فهمي.
وقد يشعر شخص بعدم الارتياح عندما تسير أمور جيدة.
وقد يحاول شخص إسقاطي.
لكن هذا لا يعني أن عليّ أنا أيضاً أن أكره ذلك الشخص أو أنافسه.
عناية الله أعظم من حسد البشر.
لا تتخلّ عن رسالتك بسبب حسد شخص آخر.
كن أميناً في المكان الذي انتمنك الله عليه.
انظر إلى قيادة الله أكثر من ردود أفعال الناس.

يجب أن نُميّز بين الحسد الذي ينبغي أن نفرغه والغيرة المقدسة التي ينبغي أن نتمسك بها

لا يتحدث الكتاب المقدس فقط عن الحسد الخاطئ الذي يجب أن نفرغه قلوبنا منه.
ففي سفر العدد 25، يقول الله إن فينحاس أظهر غيرة من أجل قداسة الله.
والمهم هنا هو ما يوجد في مركز القلب.

كان حسد شاول من أجل نفسه.
كان حسدًا يهدف إلى حماية مكانته وكرامته.
أما غيره فينحاس فلم تنتشأ من الرغبة في رفع اسمه، بل من تقديره العميق لقداسة الله.
لذلك علينا أن نسأل أنفسنا:
«هل سبب غضبي الآن هو حقًا مجد الله؟»
«أم لأن كبريائي قد جرح؟»
«هل أتألم لأن مشيئة الله تُنتهك؟»
«أم لأنني لم أحصل على التقدير؟»
«هل هذه الغيرة نابعة من المحبة؟»
«أم أنها نابعة من الخوف والرغبة في التملك؟»
هذا السؤال مهم أيضًا في العلاقة الزوجية.
يجب على الزوجين أن يثمتنا عهد الزواج الذي أعطاهما الله ويحافظا عليه بأمانة.
لكن لا يمكننا أن نسمي الرغبة في السيطرة المفرطة على شريك الحياة ومراقبته وامتلاكه «غيرة مقدسة» لمجرد أننا نقول إننا نحبه.
المحبة تحمي العلاقة، لكنها لا تجعل الطرف الآخر ملكية خاصة.
الحسد الذي ينبغي لنا أن نفرغه هو الذي يحاول أن يخفض الآخرين لكي يحمي مجدنا ومكانتنا.
أما الغيرة التي ينبغي لنا أن نتمسك بها فهي التي تتبع من محبة الله ومن تقدير مشيئته وقداسته.

أفرغ قلبك من الحسد وعش في المحبة

إن هدف إفراغ القلب من الحسد ليس مجرد أن نصبح أشخاصًا لا يحسدون الآخرين.
بل أن نصبح أشخاصًا يحبون.
المحبة تطلب خير الآخرين.
المحبة تفرح عندما تسير أمور الآخرين جيدًا.
المحبة لا تفسر نجاح شخص آخر على أنه فشل لي.
المحبة تدرك أن الله أعطى لكل إنسان مواهب مختلفة ورسالة مختلفة.
لذلك عندما ينشأ الحسد، علينا أن نصلي هكذا:
«يا رب، أرني لماذا أشعر بعدم الارتياح تجاه هذا الشخص».
«أفرغ مني المقارنة والكبرياء».
«أفرغ مني الرغبة في نيل تقدير الناس».
«ساعدني لكي أفرح بالنعمة التي أعطيتها لهذا الشخص».
«ساعدني لكي أكون أمينًا للرسالة التي انتمنتني عليها».
ثم اختر المحبة بصورة عملية.
هتئ.
شجع.
بارك.
صل.
افرح مع فرح الآخرين.
حتى إن لم يلحق قلبك بأفعالك فورًا، فابدأ بالتصرف بمحبة طاعة لكلمة الله.
وفي هذه العملية سيغير الروح القدس قلوبنا أيضًا.

«مبادئ وإرشادات عملية لإفراغ القلب من» الحسد

فكيف يمكننا إذاً أن نفرغ قلوبنا من الحسد في حياتنا اليومية؟
يبدأ الحسد بمقارنة أنفسنا بالآخرين، ويمكن أن ينمو بسهولة إلى كبرياء وكرامية
لذلك، لكي نفرغ قلوبنا من الحسد، يجب أن نحول أنظارنا المثبتة على الآخرين إلى الله، وأن نستبدل المقارنة بالشكر، وأن نكون أمناء للرسالة
التي انتمناها الله عليها.

عندما ينشأ الحسد، حدّد بمن تقارن نفسك وما الذي تقارنه. 1.

يبدأ الحسد بالمقارنة
:لذلك عندما يبدأ قلبك بالشعور بعدم الارتياح، اسأل نفسك أولاً
«بمن أقارن نفسي الآن؟»
«ما الذي أقارنه؟»
هل هي الممتلكات؟
المظهر؟
الأبناء؟
العمل؟
حجم الخدمة؟
حجم الكنيسة؟
مديح الناس؟
مواهب شخص آخر؟
عندما تكتشف ما الذي تقارنه، لا تستمر في تغذية هذه الأفكار
حول نظرك إلى الله.
ما أعطاه الله لذلك الشخص هو ما انتمنه عليه.
وما أعطاني الله إياه هو ما انتمنني عليه.
المقارنة تجعلنا نعيش حياة الآخرين.
أما الرسالة فتجعلنا نعيش الحياة التي انتمننا الله عليها.

بارك عن قصد النعمة التي أعطاه الله للآخرين. 2.

لا تستمر في اعتبار الشخص الذي تحسده منافساً لك في قلبك.
صلّ من أجله.
باركه وتمنّ له الخير.

وعندما يحدث له أمر جيد، هُئنه
وعندما يستخدمه الله، قَدَم الشكر
ولا تقارن بين الإخوة داخل الأسرة
وعلى الوالدين أن يحذرا من مقارنة ابن بآخر
وكذلك ينبغي للأبناء ألا يجعلوا النعمة التي أعطاه الله لإخوتهم سبباً للمنافسة
وفي الكنيسة، لا تجعل ثمار الكنائس الأخرى أو خدمات الرعاية الآخرين موضوعاً للمنافسة
وفي مكان العمل، لا تفسّر نجاح زميلك على أنه فشلك أنت
إن الفرح بالنعمة التي أعطاه الله للآخرين تدريب عملي على إفراغ القلب من الحسد

اطلب الأمانة أمام الله بدلاً من تقدير الناس .3

إذا كنت تفكر باستمرار
«إلى أي مدى يقدّرني الناس؟»
فستصبح حساساً جداً تجاه المديح الذي يناله الآخرون
لذلك غيّر السؤال
«هل أنا أمين أمام الله؟»
كن أميناً حتى إن لم يعترف بك أحد
اخدم حتى إن لم يُعرف اسمك
افرح مع الآخرين حتى إن كانوا هم الذين ينالون المديح
وحتى إن شعرت أن شخصاً آخر ينال التقدير على عمل قمت أنت به، افحص قلبك أولاً أمام الله
وبالطبع، في الحالات التي تتطلب تقييماً عادلاً وإنصافاً، يمكنك أن توضّح الحقائق بصورة صحيحة
لكن لا تسمح لمديح الناس بأن يصبح سيد قلبك
الشخص الذي يفرغ قلبه من الحسد يعتبر نظرة الله أهم من تصفيق الناس

اشكر كل يوم من أجل النعمة التي أعطاك الله إياها بالفعل .4

عندما ينشأ الحسد، بدلاً من التفكير فيما لم تحصل عليه، عدّد ما قد نلته بالفعل
وقد يكون من المفيد أن تكتب بالتحديد الأمور التي تشكر الله عليها اليوم
تذكّر عائلتك، وصحتك، وكنيستك، وعملك، وأصدقائك، ومواهبك، وخدمتك، وكلمة الله، ونعمة القدرة على الصلاة
الشكر لا يعني أن أقول إن لدي أكثر مما لدى شخص آخر
بل يعني أن أعتز بأن النعمة التي أعطاني الله إياها ثمينة وكافية
عندما يقول الحسد
«لماذا لا أملك هذا؟»
يقول الشكر
«لقد أعطاني الله أنا أيضاً نعمة ووفرة»

ركّز على الرسالة التي انتمنك الله عليها بدلاً من التركيز على الآخرين .5

من أفضل الأسئلة التي يمكن أن نطرحها على أنفسنا عندما ينشأ الحسد
«ما الذي انتمنني الله عليه الآن؟»
لا تقض كل وقتك في مراقبة خدمة شخص آخر
ولا تسمح لقلبك بأن يصبح أسيراً لتقييم حياة الآخرين
أحب العائلة التي انتمنك الله عليها
اخدم الكنيسة التي انتمنك الله عليها

اعمل بنزاهة في مكان العمل الذي انتمك الله عليه

.استخدم المواهب التي أعطاك الله إياها

.كن أميناً في الطاعة التي عليك أن تمارسها اليوم

.فقد شاول رسالته لأنه ثبت عينيه على داود

.وكاد آساف أن يسقط لأنه ثبت عينيه على ازدهار الأشرار

.لكن عندما أعاد نظره إلى الله، وجد الطريق من جديد

.حوّل عينيك من الناس إلى الله، وحوّل قلبك من المقارنة إلى الرسالة

.ومع ذلك، فإن إفراغ القلب من الحسد لا يمكن أن يتحقق بقوة إرادتنا وحدها

.«من الآن فصاعداً لن أقرن نفسي بالآخرين أبداً»

.«عندما ينجح شخص آخر، سأفرح له دائماً»

.مجرد اتخاذ مثل هذه القرارات لا يجعل الحسد المتجذر في أعماق قلوبنا يختفي فوراً

.نحن بحاجة إلى نعمة الله وإلى معونة الروح القدس

.يجب أن يكشف لنا الروح القدس المقارنة والكبرياء المختبئين في قلوبنا

.ويجب أن يجعلنا ندرك عدم الارتياح الذي نشعر به عندما تسير أمور الآخرين جيداً

.ويجب أن يفرغنا من الرغبة في نيل مديح الناس، وأن يفتح أعيننا لكي نرى النعمة التي أعطانا الله إياها

.كما يجب أن يشغل فينا محبة المسيح حتى نستطيع أن نفرح بصدق مع فرح الآخرين

:لذلك يمكننا أن نصلي هكذا

يا رب، أرني الحسد والمقارنة والكبرياء الموجودة في داخلي. أفرغ مني ذلك القلب الذي يشعر بعدم الارتياح عندما ينجح الآخرون، والذي

يشعر بأنه قد انخفض شأنه عندما يُمدح الآخرون. أفرغ مني الرغبة في نيل تقدير الناس ومديحهم، واجعلني أكتفي بمعرفة أنك تعرفني

وتحبني. ساعدني لكي أفرح بالنعمة التي أعطيتها للآخرين وأباركهم، ولكي أشكرك على النعمة التي أعطيتني إياها. لا تدعني أنظر إلى الناس

.«وأنافسهم، بل ساعدني لكي أكون أميناً للرسالة التي انتمنتني عليها. املاً قلبي، بعد أن تفرغه من الحسد، بتواضع المسيح وشكره ومحبه

.إن إفراغ القلب من الحسد لا يعني أن نصبح أشخاصاً لا نهتم بالآخرين

.كما أنه لا يعني تجاهل نجاح الآخرين

.إفراغ القلب من الحسد يعني ألا نفسر نجاح شخص آخر على أنه فشل لنا

.وأن نفرح بالنعمة التي أعطاها الله للآخرين، وأن نشكر على النعمة التي أعطانا الله إياها، وأن نعيش بأمانة في الرسالة التي انتمنا الله عليها

.لا بأس إن ارتفع شخص آخر أكثر مني

.ولا بأس إن نال شخص آخر مديحاً أكثر مني

.ولا بأس إن بدا أن شخصاً آخر يقوم بأعمال أعظم مني

.لأن الله يعرفني

.ولأن الله يحبني

.ولأن الله أعطاني أنا أيضاً نعمة

.ولأن الله انتمنتني أنا أيضاً على رسالة

.لذلك لا تجعل فرح الآخرين حزناً لك

.ولا تجعل نجاح الآخرين فشلاً لك

.ولا تفسر النعمة التي أعطاها الله لشخص آخر على أنها رفض من الله لك

.مثل آساف، حوّل نظرك من الناس إلى الله

.ومثل يوسف، ثق بعناية الله التي هي أعظم من شر البشر

.وفوق كل شيء، مثل يسوع المسيح، أفرغ قلبك من الرغبة في رفع نفسك، واخدم بتواضع

:الحسد يسأل

«لماذا يملك ذلك الشخص ما لا أملكه أنا؟»

:أما الإيمان فيعترف

«سأفرح بالنعمة التي أعطاه الله لذلك الشخص، وسأشكر على النعمة التي أعطاني الله إياها».

إفراغ القلب من الحسد هو تحويل النظر الذي كان مثبتاً على الآخرين إلى الله.

وهو إفراغ القلب من المقارنة والكبرياء والكراهية، والسماح لتواضع المسيح وشكره ومحبته بأن تنمو في ذلك المكان الذي تم إفراغه.

هذا هو طريق إفراغ القلب من «الحسد» الذي ينبغي لنا أن نسلكه كل يوم.

الجزء الثالث: ملء المكان الفارغ بالمسيح

الفصل الثالث عشر: الامتلاء بالمسيح

كان الموضوع الذي واصلنا التأمل فيه طوال هذا الكتاب هو «الإخلاء». علينا أن نفرغ أنفسنا من الكبرياء، ومن الطمع، ومن الرياء، ومن الكذب، ومن الكراهية، ومن الأفكار الشريرة، ومن الفجور الجنسي، ومن التذمر، ومن الغيرة.

ولكن هناك سؤال أخير لا بد أن نطرحه:

«لماذا يجب أن نفرغ أنفسنا؟»

وهناك سؤال آخر:

«بماذا ينبغي أن نملأ المكان الذي أفرغناه؟»

والجواب واضح. إن غاية الإخلاء ليست أن نصبح أشخاصًا فارغين، بل أن نصبح أشخاصًا ممتلئين بالمسيح.

لا يكفي أن نفرغ ما في داخلنا من الخطية والطمع والتحور حول الذات، لأن الإخلاء في حد ذاته ليس غاية الإيمان.

فالحياة المسيحية لا تعني أن نصبح أشخاصًا فارغين بلا رغبات ولا أفكار ولا مشاعر. بل تعني أن نفرغ حياتنا من سيادة الذات، لكي يصبح يسوع المسيح رب حياتنا.

أن نفرغ قلوبنا من الرغبة في رفع أنفسنا، ونحيا بتواضع المسيح. وأن نفرغ قلوبنا من الرغبة في الإمساك بكل شيء لأنفسنا، ونحيا بمحبة المسيح. وأن نفرغ الكراهية والكذب والتذمر والغيرة، ونحيا بفكر المسيح.

لذلك ينبغي أن يكون السؤال الأخير في الإخلاء دائمًا:

«ليس: «ما الذي أختفى من داخلي؟»

«بل: «من الذي يملك الآن على حياتي؟»

إن إخلاء المسيحي لنفسه يتجه في النهاية إلى حياة يحيا فيها المسيح في داخله.

لست أنا الذي أحيا، بل المسيح يحيا فيَّ.

يعلن الرسول بولس عن الحياة المسيحية في غلاطية 2: 20 قائلاً:

«مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ».

توضح هذه الكلمات جيدًا إلى أين ينبغي أن يقودنا «الإخلاء» الذي تحدثنا عنه طوال هذا الكتاب.

فالإخلاء لا يعني إزالة وجودي كشخص. ولا يعني التخلص من أفكار ومشاغبي وشخصيتي وفراحتي. ولا يعني التخلي عن المواهب والمسؤوليات التي أعطاني الله إياها.

الإخلاء يعني أن أفرغ قلبي من التمرکز حول الذات ومن الرغبة في أن أكون أنا سيد حياتي، لكي يصبح المسيح سيد حياتي.

«ولهذا لا يقول بولس: «لقد أختفيت»، بل يعترف قائلاً: «المسيح يحيا فيَّ».

لقد تغيّر الآن مركز الحياة.

«فإنسان الذي كان يسأل فقط: «ماذا أريد أنا؟» يبدأ بالسؤال: «ماذا يريد الرب؟»

«والإنسان الذي كان يصرّ على أن أفكاره هي الصحيحة يبدأ بالسؤال: «ماذا تقول كلمة الله؟»

«والإنسان الذي كان يفكر فقط في مصلحته يبدأ بالسؤال: «كيف سيحب المسيح هذا الشخص؟»

«والإنسان الذي كان يفرح بظهور اسمه يبدأ بالتفكير: «كيف يمكن أن يظهر المسيح من خلال هذا العمل؟»

هذا هو التغيير الذي ينبغي أن يظهر بعد الإخلاء.

إن غاية الإخلاء ليست أن أختفي، بل أن ينتقل مركز حياتي من ذاتي إلى المسيح.

ينبغي أن نمتلئ بفكر المسيح

تقول فيلبي 2: 5:

«فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضًا».

ومن هذه الكلمة انطلق هذا الكتاب أيضًا.

كان يسوع المسيح في صورة الله، لكنه لم يتمسك بحقوقه لكي يرفع نفسه. بل أخلى نفسه، أخذًا صورة عبد، وصار في شبه الناس. ووضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب.

لذلك فإن الامتلاء بالمسيح لا يعني مجرد امتلاك معرفة كثيرة عن يسوع.

بل يعني أن نحمل فكر يسوع

أن نتعلم تواضع المسيح

أن نتعلم محبة المسيح

أن نتعلم طاعة المسيح

أن نتعلم غفران المسيح

أن نتعلم خدمة المسيح

ثم نجعل هذا الفكر يظهر في بيوتنا وكنائسنا وأماكن عملنا

قد ندرس الكتاب المقدس سنوات طويلة. وقد نمتلك معرفة لاهوتية واسعة. وقد نتولى مسؤولية مهمة في الكنيسة. وقد نصبح رعاة نعلم كلمة الله.

ولكن إذا لم تقدنا هذه المعرفة إلى فكر المسيح، فعلينا أن نفحص أنفسنا من جديد

فقد نعرف الكثير من كلمة الله ومع ذلك نكون متكبرين. وقد نقوم بخدمات كثيرة ومع ذلك نطلب تقدير الناس. وقد نخدم في الكنيسة، لكننا في البيت نجعل حياة أفراد أسرتنا صعبة.

لذلك فإن السؤال المهم ليس فقط: كم أعرف؟

بل: إلى أي مدى يظهر فكر المسيح في حياتي؟

ينبغي أن يملأ المكان الذي أفرغناه بصفات المسيح

في الفصول السابقة تأملنا واحدًا تلو الآخر في الأمور التي ينبغي أن نفرغها من داخلنا

ولا حاجة الآن إلى شرحها كلها مرة أخرى بالتفصيل. المهم هو: ماذا يظهر في المكان الذي أفرغناه؟

إذا أفرغنا الكبرياء، ينبغي أن يظهر التواضع

إذا أفرغنا الطمع، ينبغي أن يظهر القناعة والعطاء

إذا أفرغنا الرياء، ينبغي أن تظهر حياة صادقة أمام الله

إذا أفرغنا الكذب، ينبغي أن يظهر الصدق

إذا أفرغنا الكراهية، ينبغي أن تظهر المحبة والمغفرة

إذا أفرغنا الأفكار الشريرة، ينبغي أن تنمو الأفكار الصالحة والطاهرة

إذا أفرغنا الفجور الجنسي، ينبغي أن تظهر القداسة والأمانة

إذا أفرغنا التذمر، ينبغي أن يظهر الإيمان والشكر

وإذا أفرغنا الغيرة، ينبغي أن تظهر المحبة التي تفرح بالنعمة التي أعطاه الله للآخرين

ولكن لا ينبغي أن نفكر في كل هذه الأمور منفصلة بعضها عن بعض

فالتواضع والصدق والمحبة والقداسة والشكر كلها في النهاية مظاهر صفات المسيح التي تظهر فينا

لذلك لا ينبغي أن نسأل فقط:

«هل أنا غير متكبر؟»

بل:

«هل يظهر تواضع المسيح في؟»

ولا نتوقف عند السؤال

«هل امتنعت عن الكذب؟»

بل نسأل:

«هل يظهر صدق المسيح في حياتي؟»

ولا نتوقف عند

«هل هناك شخص لا أكرهه؟»

بل نسأل

«هل أحب الناس بمحبة المسيح؟»

الإخلاء ليس إيمانًا سلبيًا. وليس إيمانًا يتوقف عند مجرد الامتناع عن الخطية.

بل الإخلاء هو أن نتيج مجالاً أكبر لكي تظهر حياة المسيح وصفاته في داخلنا

ينبغي أن نمثل بكلمة المسيح

كيف إذاً يمكن أن نمثل بالمسيح؟

أولاً، ينبغي أن تسكن كلمة المسيح فينا بغنى

يقول بولس في كولوسي 3: 16

«لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى».

قلوبنا ممتلئة بكلمات كثيرة: كلمات الناس، وقيم العالم، والأفكار الكثيرة التي تدخل إلينا عبر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، ومخاوفنا

ورغباتنا، وجراح الماضي وذكراياتنا.

ولكن عندما تبدأ كلمة المسيح بالسكن فينا بغنى، تتغير أفكارنا وأحكامنا

الكلمة تنير أفكارنا

تكشف رغباتنا الخاطئة

تكشف الكبرياء المختبئ فينا

وتجعلنا ندرك الكراهية والغيرة

وفي الوقت نفسه تعلمنا بأي قلب ينبغي أن نحيا

لذلك لا ينبغي أن نتوقف عند مجرد قراءة الكلمة

ينبغي أن نحفظها في قلوبنا

ونأمل فيها

ونطيعها

ونسأل:

«ماذا يقول الله لي اليوم من خلال هذه الكلمة؟»

«ما الذي ينبغي أن أفرغه؟»

«ما الذي ينبغي أن أطيع فيه؟»

«كيف أعيش هذه الكلمة اليوم في البيت والكنيسة ومكان العمل؟»

علينا أن نقف أمام كلمة الله بهذه الطريقة

قال يسوع

«تعلموا مني، لأنني وديع ومتواضع القلب» (متى 23: 11)

فالإنسان الممثل بالمسيح هو إنسان يستمر في التعلم من يسوع

ينبغي أن تظهر صفات المسيح بمعونة الروح القدس

لكن مجرد معرفتنا بالكلمة واتخاذنا القرارات لا يمكننا من التشبه بالمسيح بقوتنا الذاتية

نحن بحاجة إلى معونة الروح القدس

تقول أفسس 5: 18

«بل امتلئوا بالروح».

وتصف غلاطية 5: 22-23 ثمر الروح هكذا

«محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف».

هذه الثمار ليست مظهرًا دينيًا نصنعه بالقوة. بل هي ثمار الحياة التي تظهر عندما يعمل الروح القدس في داخلنا

لذلك لا ينبغي أن نعتمد على قوتنا وحدها

«عندما ترتفع الكراهية في داخلنا، لا نتوقف عند القرار: «يجب أن أحب

بل نصلي

«أيها الروح القدس، ساعدني لكي أحب هذا الشخص».

«وعندما يرتفع التذمّر، لا نكتفي بأن نضغط على أنفسنا قائلين: «لن أتذمّر».

بل نطلب:

«أيها الروح القدس، ساعدني أن أتذكر نعمة الله وأن أشكر».

«وعندما ترتفع الغيرة، لا نتوقف عند توبيخ أنفسنا قائلين: «لا ينبغي أن أغار».

بل نصلي:

«أيها الروح القدس، أعطني قلبًا يستطيع أن يفرح بالنعمة التي أعطيتها لهذا الشخص».

الحياة الممتلئة بالمسيح ليست حياة نحاول فيها بارادتنا أن نبو مثل المسيح

بل هي حياة نقيم فيها في الكلمة، ونعتمد على الروح القدس، ونسلم أنفسنا لله لكي تثمر صفات المسيح في داخلنا

الإنسان الممتلئ بالمسيح يخدم

في الفصل الثالث من هذا الكتاب تأملنا في حياة الإنسان الذي يخلي نفسه ويخدم قريبه كعبد

والآن نعود مرة أخرى إلى هذا الموضوع، لأن الحياة الممتلئة بالمسيح تظهر في النهاية في العلاقات

. غسل يسوع أرجل تلاميذه. واتزر بالمنشفة بنفسه ونزل إلى موضع العبد

. لم يكن فكر المسيح فكرًا يسعى إلى رفع الذات، بل كان فكرًا يخدم

:لذلك يسأل الإنسان الممتلئ بالمسيح

«بدلاً من: «من سيعترف بي؟»

«يسأل: «من أستطيع أن أخدم اليوم؟»

«وبدلاً من: «ماذا سأحصل عليه؟»

«يسأل: «ماذا أستطيع أن أشارك به؟»

«وبدلاً من: «لماذا لا يخدمني أحد؟»

«يسأل: «أرجل من أستطيع أن أغسل أولاً؟»

. ويجب أن يبدأ ذلك في البيت

. عاملوا أقرب أفراد أسر تكم بفكر المسيح

. على الزوج والزوجة أن يستمع كل منهما إلى الآخر بدلاً من أن يصر كل واحد على رأيه

. وعندما تخطئون، اعتذروا

. ولا تعلّموا أبناءكم الإيمان بالكلمات فقط، بل أروهم كيف يتوب الوالدان ويغفران ويخدمان

. والأمر نفسه في الكنيسة

. بدلاً من البحث عن منصب، ابحثوا عن مكان للخدمة

. لا تقوموا فقط بالأعمال التي يلاحظها الناس. بل افعلوا ما هو ضروري حتى إن لم يعرف أحد أنكم فعلتموه

. وفي مكان العمل أيضاً أظهروا فكر المسيح

. لا تفكروا فقط في مصالحكم، بل اهتموا بمصلحة الآخرين

. اعملوا بأمانة

. لا تستغلوا الضعفاء

. افرحوا مع نجاح الآخرين

. الإخلاء يظهر في الخدمة

. وفي حياة الإنسان الممتلئ بالمسيح تظهر خدمة المسيح كثمرة للحياة

الامتلاء بالمسيح حياة تستمر كل يوم

. لا يمكننا بقرار واحد أن نفرغ كل الكبرياء

. ولا يعني أننا تبتنا مرة واحدة أن الطمع لن يعود إلينا

. ولا يعني أننا أفرغنا الكراهية اليوم أننا لن نتألم مرة أخرى غداً

. ولا يعني أننا لم نتذمّر اليوم أننا سنصبح تلقائياً شاكرين غداً

لذلك فإن الإخلاء ليس حدثاً يقع مرة واحدة، بل هو مسيرة تلمذة تستمر كل يوم.
علينا كل يوم أن نفحص قلوبنا أمام الله.
«ما الذي يحتل أكبر مساحة في قلبي اليوم؟»
«ما الذي أتمسك به الآن؟»
«هل هناك مجال ما زلت أحاول أن أكون أنا السيد فيه؟»
«هل عاد الكبرياء والطمع والكراهية والتذمر إلى داخلي؟»
وكلما اكتشفنا شيئاً من ذلك، علينا أن نحمله إلى الله.
علينا أن نتوب.
وأن نفرغه مرة أخرى.
وأن نمثل بالمسيح من جديد.
لا نستطيع أن نحيا اليوم بنعمة الأمس وحدها.
اليوم أيضاً علينا أن نقف أمام الكلمة.
واليوم أيضاً علينا أن نعتمد على الروح القدس.
واليوم أيضاً علينا أن نحمل فكر المسيح.
واليوم أيضاً علينا أن نحب.
واليوم أيضاً علينا أن نغفر.
واليوم أيضاً علينا أن نخدم.
إن إخلاء المسيحي لنفسه ليس أمراً يكتمل مرة واحدة، بل هو حياة نتبع فيها المسيح يوماً بعد يوم.
«ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص»
نظر يوحنا المعمدان إلى يسوع واعترف قائلاً:
«ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يوحنا 3: 30)
في هذه الكلمات قلب لا يريد أن يكون هو المركز، بل يريد أن يظهر المسيح.
وهذا هو أيضاً اتجاه الإخلاء.
أن يظهر اسم المسيح أكثر من اسمي.
أن أفرح بتحقيق مشيئة الله أكثر من تحقيق إرادتي.
أن أفرح بارتفاع المسيح أكثر من حصولي أنا على التقدير.
لذلك فالإخلاء ليس هزيمة.
ولا يعني أن نجعل وجودنا بلا قيمة.
بل على العكس، إنه يعيد الإنسان الذي خلقه الله إلى موضعه الصحيح.
عندما أنزل من موضع السيد وأقبل المسيح رباً، أستطيع أخيراً أن أحيا كما يريدني الله أن أحيا.
كلما حاولت التمسك بذاتي، ازداد خوفي.
وكلما حاولت رفع اسمي، دخلت في منافسة مع الآخرين.
وكلما حاولت تحقيق إرادتي، تذمرت عندما لا تسير الأمور كما أريد.
ولكن عندما أسلم نفسي للمسيح، أتحرك.
لا بأس إن ارتفع شخص آخر أكثر مني.
لا بأس إن لم يعترف الناس بي.
وحتى إن لم تتحقق كل الأمور بحسب خطتي، أستطيع أن أثق بالله.
لأن سيد حياتي لست أنا، بل المسيح.
وفي النهاية، الإخلاء ليس فقدان المسيح، بل ربح المسيح.
أفرغوا أنفسكم وامتلئوا بالمسيح
علينا الآن أن نسال أنفسنا مرة أخرى:

«ما الذي ينبغي أن أفرغه؟»

لكن لا تتوقفوا عند هذا السؤال

:اسألوا السؤال الأهم

«بماذا أنا ممتلئ الآن؟»

هل قلبي ممتلئ بالقلق؟

هل هو ممتلئ بالرغبة في تقدير الناس؟

هل هو ممتلئ بالرغبة في المال والنجاح؟

هل هو ممتلئ بالجراح والكراهية؟

هل هو ممتلئ بالمقارنة والغيرة؟

أم أنه ممتلئ بكلمة المسيح ومحبه؟

. غاييتنا ليست أن نصبح أشخاصاً فارغين

بل أن نصبح أشخاصاً ممتلئين بالمسيح

.دعوا كلمة المسيح تسكن فيكم بغنى

.امتثلوا بالروح القدس

.احملوا فكر المسيح

.أحبوا الناس بمحبة المسيح

.اغفروا بغفران المسيح

.اخدموا بتواضع المسيح

.ودعوا المسيح يظهر من خلال حياتكم

.أظهروا المسيح في البيت

.أظهروا المسيح في الكنيسة

.أظهروا المسيح في مكان العمل

.وعندما يلتقي الناس بنا، دعوهم يرون محبة المسيح بدلاً من افتخارنا بأنفسنا

.دعوهم يرون المسيح في كلماتنا

.دعوهم يرون المسيح في اختياراتنا

.دعوهم يرون المسيح في خدمتنا

:ولتكن حياتنا كلها اعترافاً يقول

«فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا في»

«مبادئ وإرشادات عملية لـ»الامتلاء بالمسيح

إن غاية الإخلاء ليست أن نصبح أشخاصًا فارغين، بل أن نمثل بالمسيح
لذلك لا ينبغي أن تتوقف الحياة المسيحية عند السؤال

«ما الذي لن أفعله؟»

بل ينبغي أن نسأل

«كيف أسمح للمسيح أن يحيا فيَّ اليوم؟»

1. افحصوا كل يوم من هو سيد حياتكم

السؤال الأول في الحياة الممتلئة بالمسيح هو

«من هو سيد حياتي الآن؟»

عندما تتخذون قرارًا مهمًا، لا تتوقفوا عند السؤال

«ماذا أريد أنا؟»

بل اسألوا

«ماذا يريد الرب؟»

وفي البيت والكنيسة ومكان العمل، لا تجعلوا أفكاركم ومشاعركم هي المعيار النهائي

ابنؤوا يومكم بهذه الصلاة:

«يا رب، لا تسمح لي اليوم أن أحاول أن أكون سيد حياتي. ساعدني أن أتبع كلمتك بدلًا من أفكاري، وأن أطلب مشيئتك بدلًا من إرادتي».

2. اثبتوا في المسيح بالكلمة والصلاة

ينبغي أن نجعل كلمة المسيح تسكن فينا بغنى

اقرأوا الكلمة

تأملوا فيها

صلوا

وأطيعوا

وبعد قراءة الكلمة، اسألوا

«ماذا يريني الله اليوم من خلال هذه الكلمة؟»

«ما الذي ينبغي أن أفرغه؟»

«ما الذي ينبغي أن أطيع فيه؟»

«مع من ينبغي أن أعيش هذه الكلمة اليوم؟»

ينبغي ألا تكون كلمة الله مجرد مادة لجمع المعرفة، بل كلمة الله التي تحكم أفكارنا وحياتنا

3. اطلبوا معونة الروح القدس كل يوم

لا نستطيع بقوتنا أن نصنع صفات المسيح في داخلنا

عندما نحتاج إلى المحبة، فلنطلب المحبة من الروح القدس

وعندما نحتاج إلى الصبر، فلنطلب معونته

وعندما يرتفع التذمر، فلنطلب قلبًا شاكرًا

و عندما ترتفع الغيرة، فلنطلب قلبًا يفرح مع الآخرين.
و عندما ترتفع الكراهية، فلنطلب القوة على الغفران.
و عندما نتعرض للتجربة، فلنطلب طريق النجاة والقوة على ضبط النفس.
إن الحياة الممثلة بالمسيح ليست حياة نفتخر فيها بقوتنا الذاتية، بل حياة نَعتمد فيها على الروح القدس.

4. عاملوا أقرب الناس إليكم بفكر المسيح.

إن وجود فكر المسيح في داخلنا يظهر في الطريقة التي نعامل بها أقرب الناس إلينا.
ابدؤوا في البيت.
استمعوا إلى أزواجكم.
إذا أخطأتم، اعتذروا.
إذا غضبتم على أبنائكم، فلا تتمسكوا بسلطة الوالدين، بل اعترفوا بخطئكم.
وفي الكنيسة، لا تستخدموا الناس، بل اخدموهم.
وفي مكان العمل، اختاروا الأمانة بدلًا من المصلحة.
احترموا من هو أضعف منكم.
ولا تدينوا بسهولة من يختلف معكم في الرأي.
فكر المسيح لا ينبغي أن يكون مجرد اعتراف بالكلمات، بل ينبغي أن يظهر في العلاقات.

5. مارسوا خدمة صغيرة كل يوم.

ابدؤوا يومكم بالسؤال:
«من أستطيع أن أخدم اليوم؟»
ولا يشترط أن يكون الأمر عظيمًا.
الاستماع إلى أحد أفراد الأسرة خدمة.
والإتصال بشخص يمر بوقت صعب خدمة.
ومساعدة من يحتاج إلى العون خدمة.
والقيام بفرح بعمل لا يلاحظه أحد خدمة.
وتهنئة الآخرين بنجاحهم خدمة.
والصلاة من أجل شخص يصعب علينا أن نغفر له خدمة أيضًا.
فالإنسان الممتلئ بالمسيح يريد أن تتدفق محبة المسيح من خلاله أكثر من رغبته في أن يترك اسمه للناس.

6. في نهاية كل يوم، انظروا بماذا امتلأت حياتكم.

في نهاية اليوم، امكثوا قليلًا أمام الله واسألوا:
«ما الذي احتل أكبر مساحة في قلبي اليوم؟»
«هل كانت هناك لحظة حاولت فيها أن أعيش وكأني أنا السيد؟»
«هل ظهر فكر المسيح في كلامي وأفعالي؟»
«من أحببت وخدمت اليوم؟»
«هل عاد إلى قلبي الكبرياء أو الطمع أو الكراهية أو التذمر أو الغيرة؟»
«ما النعمة التي منحني الله إياها اليوم؟»
إذا رأيتم خطية، فلا تخفوها، بل توبوا.
وإذا رأيتم نعمة، فاشكروا.
ثم انظروا مرة أخرى إلى المسيح.
ولكن هناك أمر ينبغي أن نتذكره قبل كل هذه الممارسات.

إن امتلاءنا بالمسيح لا يعني أننا نصنع من أنفسنا أشخاصاً أفضل بجهودنا الذاتية

كل شيء يبدأ بنعمة الله

الله هو الذي أحبنا أولاً

والمسيح هو الذي خلّصنا

والروح القدس هو الذي يعمل في داخلنا

لذلك لا نفتخر بقوتنا

بل نطلب النعمة

ونعتمد على الروح القدس

ونسلم أنفسنا للمسيح كل يوم

ويمكننا أن نصلي هكذا

يا رب، أفرغ مني اليوم أيضاً القلب الذي يريد أن يحتل موضع السيد، واملأني بالمسيح»

اجعلني أتبع كلمتك بدلاً من أفكاري، وأن أطلب مشيئتك بدلاً من إرادتي

اجعل كلمة المسيح تسكن فيّ بغنى، واملأني بالروح القدس

اجعل تواضع المسيح ومحبه وصدقته وقداسته تظهر في حياتي

واجعلني في البيت والكنيسة ومكان العمل أظهر المسيح أكثر من إظهار ذاتي، وأن أفرح بارتفاع المسيح أكثر من ارتفاعي أنا

واجعلني أحيا حياة لا أحيا فيها أنا، بل يحيا المسيح فيّ

«باسم يسوع المسيح أصلي. آمين

إن غاية الإخلاء ليست أن نصبح أشخاصاً فارغين

بل أن نصبح ممتلئين بالمسيح

الإخلاء لا يعني أن نكره أنفسنا

بل أن نفرغ القلب من الرغبة في أن نكون نحن السادة، وأن نقبل المسيح رباً

الإخلاء ليس حياة لا نفعل فيها شيئاً

بل هو حياة نحب فيها ونخدم بفكر المسيح

لذلك، أفرغوا أنفسكم كل يوم

وامتلنوا بالكلمة كل يوم

واعتمدوا على الروح القدس كل يوم

واحملوا فكر المسيح كل يوم

واخدموا الناس بمحبة المسيح

حياة تُفرغ فيها الرغبة في أن أكون أنا السيد، ويظهر فيها المسيح بصورة أوضح بصفته رب حياتي

حياة لا أحيا فيها أنا، بل يحيا المسيح فيّ

هذا هو طريق «الإخلاء» الذي ينبغي لنا أن نسلكه

الخاتمة

«والآن، ونحن نصل إلى ختام هذا الكتاب، أود أن أعود إلى السؤالين اللذين طرحناهما في البداية: «ما الذي ينبغي أن أفرغه من داخلي؟» و«بماذا ينبغي أن أملأ المكان الذي أفرغته؟» لقد امتد هذان السؤالان عبر هذا الكتاب كله لقد تأملنا أولاً في الفرق بين «التخلي» و«الإفراغ». فإذا كان التخلي يعني أن أترك ما أمسكه بيدي، فإن الإفراغ الذي نتحدث عنه في هذا الكتاب يتجه إلى مكان أعمق من ذلك. إنه إفراغ الرغبة الكامنة في مركز قلبي في أن أكون أنا السيد. إنه إفراغ القلب الذي يريد أن يعيش واضعاً أفكاره ورغباته وإرادته واقتخاري واسمي في المركز، وتسليم ذلك المكان للمسيح. لذلك، فإن الإفراغ ليس مجرد حياة تتخلّى فيها عن شيء ما. بل هو حياة نفرغ فيها الرغبة في أن نكون نحن السادة، ونقبل المسيح رباً على حياتنا.

يسوع المسيح أخلى نفسه أولاً

يمكننا أن نتحدث عن الإفراغ لأن يسوع المسيح سلك أولاً طريق إخلاء الذات. تقول فيلبي 2:7 إن يسوع «أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس». لم يكن إخلاء يسوع لنفسه تخلّياً عن لاهوته. بل إن يسوع، ابن الله، وضع نفسه، وأخذ صورة عبد، وجاء بيننا. وأطاع مشيئة الأب حتى الموت على الصليب. كان في إخلاء المسيح تواضع. وكانت فيه طاعة. وكانت فيه محبة. وكانت فيه خدمة. وكان فيه الصليب. لذلك، فإن الإفراغ الذي نتحدث عنه ليس مجرد تدريب للنفس أو تمرين لإفراغ الذهن. بل هو طريق التلمذة الذي ننظر فيه إلى يسوع المسيح الذي أخلى نفسه من أجلنا، ونحمل فكره ونتبعه. لسنا نحن الذين أفرغنا أنفسنا أولاً. بل المسيح بذل نفسه أولاً من أجلنا. ولسنا نحن الذين أحببنا أولاً. بل المسيح أحبنا أولاً. لذلك، يجب أن يبدأ إفراغنا نحن أيضاً من نعمة المسيح.

الإفراغ ليس لإدانة أنفسنا

لقد تأملنا في هذا الكتاب في صور متعددة للخطية الموجودة في داخلنا. وفحصنا، واحدة تلو الأخرى أمام كلمة الله، الكبرياء والطمع والرياء والكذب والكراهية والأفكار الشريرة والفجور الجنسي والتذمر والحسد. وربما جرحت هذه الكلمات قلوبنا أحياناً وأوجعتها. «يوجد في داخلي أنا أيضاً مثل هذا الكبرياء» «لقد كنت أعتمد على المال أكثر من اعتمادي على الله» «كانت الصورة التي أظهرها للناس مختلفة عن حقيقتي» «لا يزال هناك شخص أكرهه ولم أستطع أن أغفر له» «لماذا عشت كل هذا الوقت متمزراً ومقارناً نفسي بالآخرين؟»

لكن الغرض من فحص هذه الخطايا لم يكن دفعنا إلى اليأس أو إدانتنا. بل كان لكي ننظر إلى أنفسنا بأمانة أمام مرآة الكتاب المقدس، ولكي نكشف أمام الله ما كنا نخفيه، ولكي نعتزف بأننا لا نستطيع تغيير أنفسنا بقوتنا، فننظر من جديد إلى الصليب.» إن بداية الإفراغ ليست قرارًا يقول: «يجب أن أصبح الآن إنسانًا أفضل.» بل تبدأ بالاقرار: «يا رب، لا أستطيع أن أفعل هذا بقوتي.» لا أستطيع بقوتي أن أزيل تمامًا الكبرياء الموجود في داخلي. ولا أستطيع بإرادتي وحدها أن أظهر طمعي. ولا أستطيع بمجرد قرار أن أمحو كراهية وجراحًا قديمة. والأمر نفسه ينطبق على التذمر والحسد. لذلك نحن بحاجة إلى النعمة. نحن بحاجة إلى الصليب. نحن بحاجة إلى معونة الروح القدس. الإفراغ ليس أن نطهر أنفسنا بقوتنا، بل أن نسلم أنفسنا بأمانة أمام نعمة الله.

غاية الإفراغ هي أن نمثلي بالمسيح

لكن لا ينبغي أن نتوقف عند الإفراغ وحده. وبينما نختتم هذا الكتاب، هناك حقيقة يجب أن نتمسك بها بكل وضوح: غاية الإفراغ ليست أن نصبح أشخاصًا فارغين، بل أن نصبح أشخاصًا ممثلين بالمسيح. ليست غايتنا فقط أن نصبح أشخاصًا يرتكبون خطايا أقل. ولا تنتهي الغاية بأن نصبح أشخاصًا بلا كبرياء. كما أن غاية الإيمان ليست فقط أن نصبح بلا طمع، أو أشخاصًا لا يغضبون، أو أشخاصًا لا يحسدون. بل ينبغي أن تظهر صفات المسيح في ذلك المكان الذي تم إفراغه. حيث أفرغ الكبرياء، ينبغي أن يظهر تواضع المسيح. وحيث أفرغ الطمع، ينبغي أن يظهر القناعة والعطاء. وحيث أفرغ الرياء والكذب، ينبغي أن يظهر الصدق. وحيث أفرغت الكراهية، ينبغي أن تظهر المحبة والمغفرة. وحيث أفرغت الأفكار الشريرة والفجور الجنسي، ينبغي أن يظهر النقاء والقداسة. وحيث أفرغ التذمر والحسد، ينبغي أن يظهر الإيمان والشكر والمحبة. ولكن إذا لخصنا كل هذا في عبارة واحدة، فإنه يعود في النهاية إلى أمر واحد: أن يظهر المسيح فينا: اعترف الرسول بولس في غلاطية 2:20 قائلاً: «مع المسيح صلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا في.» هذا هو الاتجاه الذي ينبغي أن يسير فيه إفراغنا. ليس المقصود أن أخفني، بل أن يتغير مركز حياتي. أن تتحول حياتي من حياة أعيش فيها وأنا السيد إلى حياة يكون فيها المسيح هو الرب. إنها حياة تطلب مشيئة الله أكثر من مشيئتي، وتفرح بأن يظهر اسم يسوع أكثر من اسمي، وتهتم بخير الآخرين بفكر المسيح بدلاً من السعي وراء مصلحتي وحدها.

الحياة الممثلة بالمسيح تظهر في الخدمة

الإفراغ ليس أمرًا يحدث في القلب فقط. تظهر الثمار في حياة الإنسان الممثلة بالمسيح، ومن هذه الثمار الخدمة. أخلى يسوع نفسه وأخذ صورة عبد، ثم غسل أرجل تلاميذه. لذلك، فإن الإنسان الممثلة بفكر المسيح يخدم الآخرين بدلاً من أن يسعى إلى إظهار نفسه.

«وبدلاً من أن يسأل: «لماذا لا يعترف بي أحد؟» يسأل: «من أستطيع أن أخدم اليوم؟»
«وبدلاً من أن يفكر: «ماذا يمكنني أن أحصل عليه؟» يفكر: «ماذا يمكنني أن أشارك؟»
وينبغي أن تبدأ هذه الخدمة من أقرب مكان إلينا.
أظهر المسيح في بيتك.
استمع إلى شريك حياتك.
واعذر عندما تخطئ.
ولا تعلم أبناءك الإيمان بالكلام وحده، بل دعمهم يرون والدين يتوبان ويغفران ويختمان.
وأظهر المسيح في الكنيسة أيضاً.
لا تسع إلى الحصول على مكانة، بل ابحث عن مكان للخدمة.
وافعل ما يلزم فعله حتى إن لم يعترف بك أحد.
وأظهر المسيح في مكان العمل أيضاً.
اعمل بأمانة.
ولا تطلب مصلحتك وحدها.
ولا تستغل الضعفاء، بل احترمهم.
وافرح بنجاح الآخرين.
الإفراغ يظهر في الخدمة.
والقلب الممتلئ بالمسيح يفيض في النهاية بحياة المحبة والخدمة.

الإفراغ طريق نسله كل يوم

لكننا لا نستطيع أن نفرغ كل شيء بقرار واحد.
كوننا أفرغنا الكبرياء اليوم لا يعني أننا لن نتكبر من جديد غداً.
وتوبتنا عن الطمع اليوم لا تعني أن الطمع لن يعود.
وغفراننا لشخص اليوم لا يعني أن الجرح لن يعود إلى ذاكرتنا.
وشكرنا اليوم لا يعني أننا لن نتذمر غداً.
لذلك، فإن الإفراغ ليس أمراً ينتهي بقرار واحد. بل هو طريق التلمذة الذي نسير فيه متبعين المسيح كل يوم.
علينا كل يوم أن نفحص قلوبنا أمام كلمة الله.
«يا رب، ما الذي ينبغي أن أفرغه من داخلي اليوم؟»
وفي الوقت نفسه علينا أن نسأل:
«يا رب، بماذا ينبغي أن أملأ ذلك المكان؟»
إذا عاد الكبرياء إلى الظهور، فأفرغه.
وإذا عاد الطمع وأمسك بقلبك، فأفرغه.
وإذا عادت الكراهية، فاحملها إلى الله.
وإذا ظهر التذمر، فتذكر نعمة الله.
وإذا ظهر الحسد، فحول نظرك من الناس إلى الله.
ثم املأ ذلك المكان من جديد بالمسيح.
املأه بالكلمة.
وتقدم إلى الله بالصلاة.
واطلب معونة الروح القدس.
واحمل فكر المسيح.
ثم أحب واغفر واخدم.

هذا هو طريق الإيمان الذي ينبغي أن نكرره في حياتنا كل يوم.

نقف من جديد أمام السؤالين

والآن، وأنت تغلق هذا الكتاب، قف مرة أخرى أمام السؤالين اللذين طرحناهما في البداية:

«ما الذي ينبغي أن أفرغه؟»

ما الكبرياء الذي لا أزال أتمسك به؟

ما الذي أعتد عليه أكثر من الله؟

هل أرندي قناعًا لكي أظهر أمام الناس بصورة معينة؟

هل أخفي الحقيقة أو أحرفها؟

هل لا يزال هناك شخص أكرهه ولا أستطيع أن أغفر له؟

هل هناك أفكار شريرة أكررها وأنميها في قلبي؟

هل استولت رغبات خاطئة على قلبي؟

هل توجد مجالات أتذمر فيها ولا أثق بالله؟

هل أقارن نفسي بالآخرين وأحسدكم؟

ثم اسأل السؤال الثاني:

«بماذا أنا ممتلئ؟»

هل قلبي ممتلئ بكلمة المسيح؟

هل يظهر تواضع المسيح فيّ؟

هل تظهر محبة المسيح فيّ؟

هل يظهر صدق المسيح وقداسته فيّ؟

هل ينمو الشكر والإيمان في داخلي؟

هل أخدم الناس بفكر المسيح؟

وقبل كل شيء، من هو رب حياتي الآن؟

وأمام هذه الأسئلة، لا تفكر في شخص آخر

لا تفكر في شريك حياتك

لا تفكر في أولادك

لا تفكر في عضو آخر من أعضاء الكنيسة

بل ضع نفسك أولاً أمام الله

ووصل هكذا:

يا رب، افحص قلبي اليوم أيضًا. أرني القلب الذي في داخلي والذي يريد أن يكون هو السيد. ساعدني أن أفرغ ما ينبغي إفراغه، وأن أضعه»

أمامك بأمانة دون أن أخفيه

وبدلاً من أن أحاول تغيير نفسي بقوتي، ساعدني أن أتمسك بنعمة الصليب وأن أطلب معونة الروح القدس

وأملأ قلبي الذي أفرغته بالمسيح. ولتسكن كلمة المسيح فيّ بغنى، وليظهر تواضع المسيح ومحبته وصدقه وقداسته في حياتي

وفي البيت والكنيسة ومكان العمل، وأمام كل من ألتقي بهم، ساعدني أن أظهر المسيح بدلاً من أن أظهر نفسي

واجعلني أفرح بظهور المسيح أكثر من فرحي بارتفاعي أنا

واجعلني أحيا حياة لا أكون فيها أنا الذي يحيا، بل المسيح يحيا فيّ

«باسم يسوع المسيح أصلي. آمين»

الإفراغ ليس إزالة ذاتي

بل هو إفراغ القلب الذي يريد أن يكون هو السيد

الإفراغ ليس مجرد التخلي عن شيء

بل هو تسليم مركز حياتي للمسيح

الإفراغ ليس أن أصبح إنساناً فارغاً.
بل أن أصبح إنساناً يمتلئ بالمسيح أكثر فأكثر.
والحياة الممتلئة بالمسيح تظهر في المحبة والخدمة.
لذلك أفرغ نفسك اليوم أيضاً.
وامتلئ بالمسيح.
دع اسم المسيح يظهر أكثر من اسمك.
اطلب مشيئة الله أكثر من مشيئتك.
وبدلاً من أن تطلب مصلحتك وحدها، اخدم قريبك بفكر المسيح.
لتنخفض أنت، وليظهر المسيح أكثر فأكثر.
وعش كل يوم معترفاً:
«فاحيا لا أنا، بل المسيح يحيا في»
أفرغ نفسك وامتلي بالمسيح.
هذا هو طريق «الإفراغ» الذي ينبغي لنا، بوصفنا تلاميذ يسوع المسيح، أن نسلكه كل يوم.